مجلة معهد الإمام الشاطبي

تدارس القرآن الكريم
أحكامه وضوابطه

إعداد

د. ناصر بن محمد بن صالح الصائغ

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية -كلية العلوم والآداب بالرس- جامعة القصيم

• من مواليد عام ١٣٨٩هـ ، بمدينة الرس، بالمملكة العربية السعودية.

• نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٢٢هـ بأطروحته: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) دراسة وتحقيقاً وتخريجاً وتعليقاً من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة الشعراء " (مطبوع)، كما نال منه شهادة الدكتوراه عام ١٤٢٨ هـ بأطروحته: "الترجيح بالسنة جمع ودراسة "(مطبوع).

• من أعماله المنشورة: "آيات التحدي بالقرآن الكريم: عرضاً ودراسة"، "الكتب المفردة في أسباب نزول القرآن رواية: جمعاً ودراسة"، "منهج الإباضية في تفسير القرآن الكريم"، "تفسير قوله: (وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ) تفسيراً تحليلياً".

• البريد الشبكي: nasser576@hotmail.com

الملخص

فإن من أفضل المنن على أمّة محمدٍ ﷺ هو إنزال الله عليهم أفضل كتبه؛ القرآن الكريم، لذا حثَّ عليه الصلاة والسلام على تدارسه بفعله وقوله وإقراره.

وهذا بحث بعنوان (**تدارس القرآن: ضوابطه وأحكامه**) يهدف لبيان مفهوم التدارس الذي حثنا ﷺ عليه، ومعرفة وأحكامه وأنواعه، والوقوف على ضوابطه، والآثار المترتبة عليه، بالإضافة إلى ذكر بعض الوسائل المساهمة في تفعيله.

وتبرز أهمية هذا البحث بسبب قلة من كتب فيه، ووجود الحاجة الماسة إليه.

وأرى أنه موضوع لا زال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث.

وأوصي بالتأكيد على ضرورة الاهتمام بالتدارس وتفعيله؛ لما له من آثار عظيمة، وهو سبيل لعودة الأمة إلى كتاب ربها، والنهل من معينه، وسبيل إلى تطبيق القرآن تطبيقا عمليًّا، وجعله منهجًا للحياة.

الكلمات المفتاحية: تدارس، القرآن، تلاوة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وسيد المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلمَّ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعدُ :

فإنَّ نعم الله على عباده لا تُعدُّ ولا تحصى، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم٣٤، النحل ١٨] ، وإنَّ من أجلِّ تلك النِّعم، وأعظمِ تلك المِنَنِ، التي مَنَّ بها سبحانه على أمَّةِ محمدٍ ﷺ أنْ أنزلَ عليهم أفضلَ كتبه، القرآن العظيم، والذكر الحكيم، والسراج المبين، وحبل الله المتين، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواءُ، ولا تلتبسُ به الألسُنُ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الترديد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، مَن قال بهِ صَدَقَ، ومَن عَمِل به أُجِرَ، ومَن حكم به عَدَلَ، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيمٍ، ومَن تركه مِن جبَّارٍ قَصَمَهُ الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦] ، أنزله الله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل :٨٩] ، وجعله الله نورًا مُبينًا، وذِكرًا حكيمًا، وهُدىً وموعظةً للمتقين، وبرهانًا وشفاءً لما في الصدور، ومباركًا للعالمين، أنزله ﷻ لإخراج الناس من الظُّلمات إلى النُّور، وأمر بتدبره، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢] ، وأمر بالإنذار به واتِّباعه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢-٣] ، وتكفَّل الله بحفظه فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] .

وكان ﷺ أشرف الخلق يأتيه جبريلُ عليه السلام يُدارسه القرآن في كل ليلةٍ من رمضان، بل حثَّ ورغبَّ ﷺ على تدارس القرآن مع فعله بقوله وإقراره، قال ﷺ:

«**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم الرَّحمة، وحفتُّهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

وقد رأيت أن أكتب بحثًا في تدارس القرآن الكريم؛ للوقوف على مفهوم التدارس الذي حثنا عليه رسولنا الكريم، ومعرفة ضوابطه وأحكامه، خاصةً مع ظهور أهمية تدارس القرآن الكريم، وقلة من كتب فيه، إذ رأيتُ أن الكتابات كثيرةٌ حول تدبر القرآن بخلاف التدارس، مع أن تدارس القرآن أوسع من التدبر، حيث إنَّ التدبر جزءٌ من تدارس القرآن، والتدارس وسيلة من وسائل التدبر، فوقع اختياري على موضوع: «**تدارس القرآن الكريم: ضوابطه وأحكامه**»، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور منها :

١- معرفة مفهوم تدارس القرآن، وضوابطه وأحكامه.

٢- حث المجتمع على تدارس القرآن، وربطهم بكتاب الله، والوقوف على ثمرته.

٣- التشرف بخدمة كتاب الله، والمساهمة في ربط الأمة به، والنهل من معينه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، ومباحث، وخاتمة، وفهارس، وجاءت على النحو التالي:

المقدمة: تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجي في كتابة البحث.

المبحث الأول: مفهوم تدارس القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: معنى التدارس لغة .

المطلب الثاني: معنى التدارس اصطلاحا .

المطلب الثالث: معنى تدارس القرآن الكريم .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ٢٦٩٩.

المبحث الثاني: الفرق بين التدارس والتدبر والتفسير.

المبحث الثالث: حكم تدارس القرآن الكريم.

المبحث الرابع: أنواع تدارس القرآن الكريم.

المبحث الخامس: ضوابط تدارس القرآن الكريم.

المبحث السادس: الآثار المترتبة على تدارس القرآن الكريم في حياة الفرد والمجتمع.

المبحث السابع: من وسائل تفعيل تدارس القرآن الكريم.

الخاتمة: اشتملت على أهم نتائج البحث.

وقد اجتهدت -مستعيناً بالله- في بحث هذا الموضوع، متَّبعًا المنهج التالي:

١- الرجوع إلى الكتب التي اشتملت على مظان البحث، وجمع المادة العلمية منها.

٢- وضع تصور علمي، وآلية منضبطة لتدارس القرآن الكريم.

٣- الاستدلال بمنهج النبي ﷺ، وصحابته الكرام في تدارسهم للقرآن الكريم.

٤- صياغة البحث بأسلوب علمي، وترتيب وتنظيم أفكاره.

٥- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، فإن كان في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بهما.

٦- عدم إثقال الحواشي بالتراجم.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، والحمد لله ربِّ العالمين.

المبحث الأول

مفهوم تدارس القرآن الكريم

المطلب الأول: معنى التدارس لغةً

دَرَسَ الشيءَ، والرَّسمُ: يَدْرُسُ دُرُوساً: عفا. ودَرَسَتهُ الريح دَرْساً: محته إذا تكررت عليه فعفَّته. ودَرَسَ الكِتَابَ يَدْرُسُه -بالضَّمّ-، ويَدْرِسُه -بالكَسْر-، دَرْسًا -بالفَتْحِ- ودِرَاسَةً -بالكَسْرِ-: قَرَأَه وذلّله بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليه من ذلك. والمُدارسة والدِّراسة: القراءة. والمُدَرِّس: الرَّجُل الكَثِير الدَّرْسِ، أَي: التِّلاَوَة بالكتابة والمُكَرِّر له، ومنه مُدَرِّس المدرسة.

والمِدْراس: الموضع الذي يُدرس فيه كتاب الله، ومنه مدراس اليهود، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: « **أتى نفرٌ من يهود، فدعوا رسولَ الله ﷺ إلى القُفِّ**[(١)]**، فأتاهم في بيتِ المِدْرَاس** ...»[(٢)] . أي المكان الذي يدرسون فيه .

قال ابن فارس رحمه الله: «(دَرَسَ): الدَّال والرَّاء والسين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على خَفاءٍ، وخفضٍ وعَفَاءٍ...، ومن الباب: دَرَسْتُ القرآنَ وغيرَه. وذلك أن الدّارِسَ يَتَتَبَّعُ ما كان قرأ، كالسَّالك للطريق يَتَتَبَّعُهُ»[(٣)].

وقال ابن منظور رحمه الله: «دَارستُ الكُتبَ وتدارَستُها وادَّارَستُها أي: دَرَستُها. وفي الحديث: «**تدارسوا القرآن**»؛ أي: اقرأُوه و تعهدوه لئلا تنسوهُ. وأصل الدِّراسَةِ: الرياضة، والتَّعَهُّد للشيء»[(٤)].

«فمادّة (دَرَسَ) في كلام العرب، تحوم حول معاني التأثر من تكرُّر عملٍ يُعمل في أمثاله، فمنه قولهم: (دَرَسَتِ الرِّيحُ رسمَ الدار) إذا عفته وأبلته، فهو دارسٌ. يقال:

---

(١) القُفّ: وادٍ من أودية المدينة عليه مال لأهلها . (النهاية في غريب الحديث ٤/ ٩١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين ،ح ٤٤٤٩ ، وحسنه الألباني صحيح سنن أبي داود ، وكذا في إرواء الغليل ٥/ ٩٤ .

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٦٧.

(٤) لسان العرب ٦/ ٨٠ .

منزلٌ دارسٌ، والطريقُ الدَّارس: العافي الذي لا يتبيَّن. وثوْب دارسٌ: خَلَقٌ، وقالوا: دَرَسَ الكتاب، إذا قرأه بتمهُّل لحفظه، أو للتدبُّر ... ، ومادة (دَرَسَ) تستلزم التمكُّن من المفعول؛ فلذلك صار دَرْسُ الكتابِ مجازًا في فهمه وإتقانه...، وفعلُه من باب نَصَرَ، ومصدره في غالب معانيه الدَّرس، ومصدر درس بمعنى قرأ، يجيء على الأصل دَرْسًا، ومنه سُمِّي تعليم العِلم درسًا، ويجيء على وزن الفِعالة: دِراسة، وهي زنة تدل على معالجة الفعل، مثل الكتابة والقراءة، إلحاقًا لذلك بمصادر الصناعات كالتجارة والخياطة»[(١)].

و«درَسَ الكتابَ ونحوَه دَرْسًا، ودِرَاسَةً: قَرَأَهُ وأَقبل عليه ليحفظَه ويفهمه... وتدارسَ الكتابَ ونحوَه: دَرَسَهُ وتعَهَّده بالقراءة والحفظ لئلا ينساه »[(٢)].

فدَرَسَ الشيءُ معناه: بقي أثره، وبقاء الأثر يقتضي انمحاءَه في نفسه، ومنه درس الكتاب، ودرست العلم، أي تناولتُ أثره بالحفظ، ولمَّا كان تناول ذلك بمُداومةِ القراءة عُبِّر عن إدامةِ القراءة بالدَّرسِ[(٣)].

المطلب الثاني: معنى التدارس اصطلاحًا

التّدارسُ: تفاعلٌ من(دَرَسَ)،وتدارسَ الكتابَ قَرَأَهُ، وأَقبل عليه ليحفَظَهُ ويفهمه .

والدِّراسة أخصُّ من القراءة والتلاوة، ويدلُّ على ذلك قول النبيّ ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينة...**»[(٤)]. حيث عطف التدارس على القراءة، فعلم أن الدراسة أخص من القراءة [(٥)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣/ ٢٩٥ .

(٢) المعجم الوسيط ١/ ٢٨٠ .

(٣) انظر : المفردات للراغب ص ٣١١، بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٩٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ٢٦٩٩.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ٢٩٥ .

فالتدارس والدِّراسة: القراءة بتمهّل للحفظ أو للفهم. وجاء على صيغة التَّفاعل والفِعالة، ليدلَّ على تكرارِ بذلِ الفعل، وحصوله بعد جُهدٍ.

المطلب الثالث: معنى تدارس القرآن الكريم

وردت صيغ مادة (دَرَسَ) في القرآن الكريم على النحو التالي:

أولاً: ورد الفعل الماضي الثلاثي (دَرَسْتَ) في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ [الأنعام :١٠٥]، ومعنى قوله : ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ ﴾ أي: قرأت، وتعلمت؛ لأنَّ المشركين كذلك كانوا يقولون للنبيّ ﷺ، وقد أخبر الله عن قِيلهم ذلك. وقرأ الجمهور: ﴿دَرَسْتَ﴾ بدون ألف وبفتح التّاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿دَارسْتَ﴾ -على صيغة المفاعلة وبفتح التّاء- أي يقولون: قرأت وقرئ عليك، أي دارسْتَ أهل الكتاب وذاكرتهم في علمهم. وقرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿دَرَسَتْ﴾ -بصيغة الماضي وتاء التأنيث- أي الآيات، أي تكرّرتْ[(١)].

ثانيًا: ورد الفعل الماضي الثلاثي المتصل بواو الجماعة (دَرَسُوا) في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ﴾ [الأعراف: ١٦٩] . ومعنى الآية: أي قرأوه، فهم ذاكرون لذلك، وفعل ﴿وَدَرَسُواْ ﴾ عطفٌ على ﴿يُؤْخَذْ ﴾؛ لأنَّ يؤخذ في معنى المضي؛ لأجل دخول (لم) عليه، والتقدير: ألم يؤخذ ويدرسوا؛ لأنَّ المقصود تقريرهم بأنهم درسوا الكتاب، لا الإخبار عنهم بذلك .

ثالثًا: ورد الفعل المضارع المتصل به واو الجماعة (تَدرُسُون)، وهو من الفعل الثلاثي أيضًا، في موضعين في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩] ، وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ [القلم:٣٧] .

رابعا: ورد الفعل المضارع المتصل به واو الجماعة (يَدْرُسُونَها)، وهو من الفعل الثلاثي أيضًا، في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ [سبأ : ٤٤] .

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع ص ١٠٥، النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٦١.

خامسًا: ورد المصدر المتصل بالضمير(هم) (دِرَاسَتِهم)، وهو من الفعل الثلاثي أيضًا، في قوله تعالى :﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام : ١٥٦] .

وأما تعريف تدارس القرآن، فلم أقف على تعريف له فيما بين يدي من مراجع، وبعد أن نظرت في معنى الكلمة في اللغة، واستخداماتها في القرآن والسنة، وأقوال أهل العلم، رأيتُ أن أعرِّف تدارس القرآن بأنه: «**قيامُ أكثر من واحدٍ بتلاوة آي من كتاب الله- حفظًا أو قراءة -، والعيش مع تلك الآيات المتلوة، والمشاركة في فهمها، وتفّهم معانيها؛ للعمل بما جاء فيها**».

فعبارة : «**قيام أكثر من واحد**»، تفيد أن تدارس القرآن يكون من مجموعة فيظهر فيه مدلول التفاعل. حيث إن كلمة دَارَسَ بصيغة فَاعَلَ ومصدرها مدارسة بصيغة مفاعلة تعني المشاركة في الدرس والفهم والتحليل .

وعبارة : «**بتلاوة آي من كتاب الله -حفظًا أو قراءة-** »، تفيد أنَّ تدارس القرآن يكون بتلاوة آيات من القرآن الكريم، سواء كانت التلاوة لتلك الآيات حفظًا عن ظهر قلب، أو قراءة .

وعبارة : «**والعيش مع تلك الآيات المتلوة**»، تفيد أنه لابد لتحقيق تدارس القرآن من العيش مع الآيات، فلا يمكن أن يتحقق التدارس من دون عيش مع الآيات، فلا يتحقق التدارس مع غفلة عن الآيات المتلوة .

وعبارة : «**والمشاركة في فهمها**»، تفيد أنه لا يكفي في التدارس التلاوة فقط، أو العيش مع الآيات من دون محاولة لفهم الآيات، بل لا بد من المشاركة في فهمها. وصيغة(المفاعلة) في (المشاركة) تدلُّ على أنَّ في التدارس تفاعل بين أكثر من واحد .

وعبارة «**تفهُّم معانيها**»، تدلُّ على أنه لابد من بذل الوسع في تفهم الآيات المتلوة؛ وذلك أنَّ صيغة(تَفَعُّل): تدل على بذل الوسع لفهم معاني الآيات ومدلولاتها. يقول العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اللباب: «وقد اطَّردت زيادةُ التَّاء في الفعلِ للمعاني، نحو تَفَعَّل

وتَفَاعَل وافتعل، وفي مصادرها وفي مصدر فَعّل نحو قطّع تَقْطيعاً، فزيادةُ التّاء والياء عوضٌ من تَشْديد العينِ في الفعل ليدلَّ على التكثير والتوكيد»[١] .

وعبارة: «**للعمل بما جاء فيها**»، تدل على أنَّ العمل بما جاء في الآيات هو أساس تدارس القرآن الكريم .

(١) اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري ١/ ٣١٢ .

المبحث الثاني

الفرق بين التدارس، والتدبر، والتفسير

التَّدَارُس: سبق بيانه.

والتَّدَبُّر: مصدر للفعل الماضي الخماسي (تَدَبَّر)، ومادة: (دَبَرَ)، أصلها يدلُّ على آخر الشيء وخَلْفِه. قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: « الدال والباء والراء، أصل هذا الباب، أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخر الشيء ... فمعظم الباب أنَّ الدُّبُر خلاف القُبُل»[(١)].

فمادة كلمة التدبر في اللغة تدور حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، فالتدبر: هو النظر في أدبار الشيء، والتفكير في عاقبته[(٢)]. وجاء على صيغة التَّفَعُّل، ليدلَّ على تكلُّف الفعل ومعاناته، وحصوله بعد جُهدٍ وتدرج .

«ولم يرد مصطلح (التَّدَبُّر) مطلقاً في القرآن الكريم بهذه الصيغة، بل وردت صيغٌ أخرى من مادة (دَبَرَ) في القرآن الكريم، في عدة آياتٍ على النحو الآتي :

أولًا: ورد الفعل المضارع (يُدَبِّرُ) أربع مرات[(٣)]، وهو من الفعل الماضي الرباعي المضعَّف العين (دبَّر).

ثانيًا: ورد اسم الفاعل (مُدَبِّرٌ) في موضع واحد[(٤)]، وهو من الماضي الرباعي (دَبَّر).

ثالثًا: ورد الفعل المضارع المتصل به واو الجماعة (يتَدَبَّرونَ) في موضعين[(٥)]، وهو من الفعل الماضي الخماسي (تَدَبَّر).

رابعًا :ورد الفعل المضارع (يَدَّبَّرُوا) في موضعين[(٦)]، وهو من الماضي الخماسي

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤، مادة دبر).
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٤، مادة دبر).
(٣) سورة يونس آية ٣ ، وسورة يونس آية ٣١ ، وسورة الرعد آية ٢ ، وسورة السجدة آية ٥ .
(٤) سورة النازعات آية ٥ .
(٥) سورة النساء آية ٨٢ ، وسورة محمد آية ٢٤ .
(٦) سورة المؤمنون آية ٦٨ ، وسورة ص آية ٢٩ .

(تَدَبّر)...»[١].

كما جاء ما يدل على الأمر بالتدبر في القرآن الكريم، في أربعة مواضع من القرآن، في موضعين بصيغة (يتَدَبَّرونَ)[٢]، وفي موضعين بصيغة (يَدَّبَّرُوا)[٣].

والتدبر عند المفسرين: «تأمل القرآن الكريم، والنظر في معانيه، والتَّبَصّر بدلالاته ومآلاته وما فيه»[٤]. أو هو: «إعمال الذهن بالنظر في آيات القرآن؛ للوصول إلى معانيها، ثم النظر إلى ما فيها من الأحكام والمعارف والعلوم والعمل»[٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو التفكر فيه ، وفي معانيه »[٦]. وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله»[٧]. وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلَّ آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك؛ فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرع وطلب»[٨].

وعرفه الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله :«هو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك»[٩].

ويقرب من معنى التَّدبُّر: التَّفَكُّر، والتَّذكُّر، والنَّظر، والتأمُّل، والاعتبار، والاستبصار.

---

(١) مفهوم التدبر تحرير وتأصيل ص ٢٤٣-٢٤٧ .
(٢) في سورة النساء آية ٨٢ ، وفي سورة محمد آية ٢٤.
(٣) في سورة المؤمنون آية ٦٨، وفي سورة ص آية ٢٩.
(٤) مفهوم التدبر تحرير وتأصيل ص ١٢٧.
(٥) مفهوم التدبر تحرير وتأصيل ص ٧٧.
(٦) تفسير القرطبي ٥/ ٢٩٠ .
(٧) مدارج السالكين ١/ ٤٨٥ .
(٨) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣٠٠.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢/ ١١٢ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «...وهذا يسمى تفكُّرًا وتذكُّرًا ونظرًا وتأمُّلًا، واعتبارًا وتدبُّرًا واستبصارًا ، وهذه معانٍ متقاربةٌ تجتمعُ في شيءٍ وتتفرقُ في أخر. ويسمَّى تفكُّرًا؛ لأنّه استعمالُ الفكرةِ في ذلك، وإحضاره عنده. ويسمَّى تذكُّرًا؛ لأنَّه إحضارٌ للعلمِ الذي يجب مراعاته بعد ذهولِه وغيبتِه عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] . ويسمَّى نظرًا؛ لأنَّه التفاتٌ بالقلبِ إلى المنظورِ فيه. ويسمَّى تأمُّلًا؛ لأنه مراجعةٌ للنَّظرِ كرَّةً بعد كرَّةٍ، حتى يتجلَّى له وينكشفَ لقلبِه، ويُسَمَّى اعتبارًا، وهو افتعالٌ من العبورِ؛ لأنَّه يَعْبُرُ منه إلى غيرِه، فَيَعْبُرُ من ذلك الذي قد فكَّرَ فيه إلى معرفةٍ ثالثةٍ، وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يُسَمَّى عِبْرَةً، وهي على بناءِ الحالاتِ كالجِلْسَةِ والرِّكْبَةِ والقِتْلَةِ، إيذانًا بأنَّ هذا العلمَ والمعرفةَ قد صار حالًا لصاحبِه، يَعْبُرُ منه إلى المقصودِ به، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات :٢٦] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران:١٣] . ويُسمَّى تدبُّرًا؛ لأنَّه نظرَ في أدبارِ الأمورِ، وهي أواخرُها وعواقبُها، ومنه تدبُّرُ القول...»[(١)].

فالتدبر واسع الدلالة، فهو يشمل كل حركة للعقل أو للقلب في فهم كتاب الله والتأثر به، ومنه ما يظهر لأول نظر، ومنه ما هو دقيق لا يظهر إلا بإمعانٍ وجهد .

وأما **التفسير**: فهو مصدر على وزن تفعيل، من الفعل الماضي الرباعي المضعَّف العين: (فَسَّر)، وأصل مادته تدل على البيان والكشف والإظهار والإيضاح والتفصيل.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفاء والسين والراء كلمة واحدة، تَدُلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرتُ الشيءَ وفَسَّرتُه »[(٢)].

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٢٨٢ .

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٤، مادة فسر.

وكلمة التفسير لغة تستعمل في الكشف عن المحسوسات والأعيان، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، فيقال: فسَّرَ الكلامَ، أي أَبَانَ معناه وأظهره، كما يُقَالُ: فَسَّرَ عن ذِرَاعِهِ، أي كشف عنها.

وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَسْرُ والسَفْرُ: يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما: لكن جُعِل الفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول... وجُعِل السَفْرُ لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سَفَرتْ المرأةُ عن وجهها، وأَسْفَرَ الصبحُ، وسَفَرَتْ البيت: إذا كنسته»(١). والتفسير في الأصل ليس خاصًّا بتفسير القرآن، ولكن شاع واشتهر أنه إذا أطلق التفسير فالمراد به تفسير القرآن.

وتفسير القرآن عُرِّف بتعريفات كثيرة، فتوسع فيه قوم واختصره آخرون.

ومن تلك التعاريف: تعريف ابن جُزي الكلبي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «معنى التفسير: شرح القرآن، وبيانُ معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصِّه أو إشارته أو نجواه»(٢).

وعرفه أبو حيان رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديِّة والتركيبية، ومعانيها التي تُحْمَلُ عليها حالَ التركيب، وتتمات ذلك»(٣).

وعرفه الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «هو علمٌ يُعرفُ به فَهمُ كتابِ الله المُنَزَّلِ على نبيِّه محمد ﷺ، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامه وحِكَمِه»(٤).

ومن التعاريف أيضا أنه: « علمٌ يُبحثُ فيه عن القرآن الكريم، من حيثُ دلالته على مُرادِ الله بقدر الطاقة البشريَّةِ»(٥).

---

(١) انظر: مقدمة جامع التفاسير ص٤٧.

(٢) التسهيل في علوم التنزيل ١/ ٦.

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٣.

(٥) انظر : التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٥، مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٣ .

ومن أجمل التعاريف وأسلمها -حسب ما اطلعت- أنه: «علمُ بيانِ معاني القرآن الكريم بالنقل والعقل»[1].

فمن خلال هذه التعاريف للتدارس والتدبر والتفسير يتضح أن هناك تقاربًا وتداخلًا فيما بينها، ونستطيع من خلال تلك التعاريف أن نميز بينها، فيمكن أن **نميز بين التدارس والتفسير بما يلي:**

- المقصود بالتدارس العلم بما دلَّ عليه كلام الله -تعالى-؛ للإيمان، والاعتبار، والعمل. وأما المقصود بالتفسير فهو بيان معاني كلام الله تعالى وفهمه.

- التدارس أوسع من التفسير؛ إذ إن التفسير جزء من تدارس القرآن.

- التدارس يمكن أن يمارسه أي مسلم، أما التفسير فله شروط معروفة ذكرها العلماء .

ويمكن **أن نميز بين التدارس والتدبر** بما يلي :

- التدارس أوسع من التدبر؛ إذ إن التدبر جزء من تدارس القرآن .

- التدارس عملية تعليمية تستعمل من داخل النص القرآني، وأما التدبر فهو عملية عقلية خارج النص القرآني.

وخلاصة القول في هذا: أن هذه المصطلحات الثلاث (التدارس، التفسير، التدبر) تمثل مراتب ثلاثة للتعامل مع القرآن لكريم؛ أولى هذه المراتب: (التدارس) فهو أشمل وأعم هذه المصطلحات، ثم تأتي المرتبة الثانية: (التفسير)، وهي مرتبة تالية هدفها بيان معاني كلام الله تعالى وفهمه، ثم تأتي المرتبة الثالثة: (التدبر) وهي أخص هذه المراتب .

(١) التعريف للأستاذ الدكتور: حكمت بشير ياسين حفظه الله ، سماعا منه .

المبحث الثالث

حكم تدارس القرآن الكريم

تدارس القرآن من أفضل القربات، وأزكى الأعمال، فهو متعلّق بأشرف كلام، وشرفُ العلم بشرف معلومه، ولا أشرف ولا أجلَّ ولا أزكى من كلام الله تعالى ومدارسته.

وقد كان من سنته ﷺ مدارسة القرآن، فعَن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كانَ جبريل عليه السلام يَلقَى النبيَّ ﷺ فِي كُلِّ لَيلَةٍ من رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرآنَ، فَلَرسُولُ اللهِّ ﷺ أَجوَدُ بِالخَيرِ مِن الرِّيحِ المُرسَلَةِ »[(١)]. وحثَّ ﷺ أمته على مدارسة القرآن، ورتّبَ عليها الفضل الكبير، في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغشيتُهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)]. وعن معاوية رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ خَرجَ عَلى حَلقةٍ مِن أَصحَابِهِ، فَقَالَ: **مَا أَجلَسَكُم؟** فَقَالُوا: جَلَسنا نَذكُرُ اللهَّ وَنَحمدُه على مَا هدانَا لِلإِسلام، وَمَنَّ به عَلَينَا، فَقَالَ: **آللَّهِ، مَا أَجلَسَكُم إلا ذَاكَ؟** قَالُوا: وَاللهَّ مَا أَجْلَسَنَا إلا ذَاكَ، قَالَ: **أَمَا إِنِّي لم أَستَحلِفْكُم تُهمَةً لَكُم، وَلَكِنَّه أتاني جِبرِيل فَأَخبرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ**»[(٣)]. فقوله وفعله وإقراره ﷺ دليل على فضل تدارس القرآن الكريم.

وتدارس القرآن من مجالس الذكر الفاضلة، التي رغبَّ ديننا الحنيف بحضورها، قال ابن حجر رحمه الله في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر...**»[(٤)]، وبعد أن أورد عددًا من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ح ٤٩٩٧، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي أجود بالخير من الريح المرسلة، ح ٢٣٠٨ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذك، ح ٢٦٩٩.

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ٢٧٠١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح ٦٤٠٨.

الروايات والطرق له قال: «ويؤخذ من مجموع هذه الطرق، المراد بمجالس الذكر، وأنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة، من تسبيح وتكبير وغيرهما، وعلى تلاوة كتاب الله ﷻ، وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة ... والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة فحسب»(١).

وصحابة رسول الله ﷺ خير القرون كانوا يتدارسون القرآن، فعن أبي عبدالرحمن السلمي رحمه الله قال: «حدَّثنا الذي كانوا يُقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعا» (٢) .

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: « أنَّه كان إذا اجتمع إليه إخوانه، نشروا المصحف، فقرؤوا وفَسَّرَ لهم»(٣). وجاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه «أنَّه كان يدرس القرآن معه نفرٌ يقرؤون جميعاً »(٤).

وعن مكحول رحمه الله قال: « كانت حَلْقَة من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يدرُسُون جميعًا، فإذا بلغوا سجْدةً بعثوا إلى أبي إدريس الخولاني فيقرؤها، ثم يسجد فيسجدُ أهل المدَارس»(٥).

وعن يزيد بن عَبيدة، أنَّه رأى أبا إدريس الخولاني في زمن عبد الملك بن مروان وأنَّ حِلَق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن، يدرسون جميعًا وأبو إدريس جالس إلى

(١) فتح الباري ١١/ ٢١٢ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ح ٦٠٢٧ ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٠، وأحمد في مسنده ٥/ ٤١٠، وابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٧٥، من طريق عطاء بن السائب عنه به بألفاظ متقاربة .
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧٧، والبيهقي في الشعب ١٩٥٣، من طريق شريك، عن عطاء، عن أبي عبدالرحمن، عن ابن مسعود، نحوه . وقال الحاكم صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٤٦ ، وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٦٩: "إسناده صحيح" .

(٤) ذكره النووي في التبيان وعزاه لابن أبي داود.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٥/ ٣٣٨ ح ٢٨٩٣، وذكره الذهبي في السير ٤/ ٢٧٤ عن ابن جوصاء الحافظ بسنده .

بعض العُمُد فكلما مرَّت حَلْقةٌ بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها وأنصتوا له وسجَدَ بهم جميعًا، وربما سجد بهم ثِنتي عشرة سجدةً، حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يَقُصُّ. قال يزيد بن عَبيدة: ثمَّ إنَّه قُدِّم القَصَص بعد ذلك، وأخرُّوا القراءة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون، وكانوا إذا اجتمعوا أمّروا واحدًا منهم، أنْ يقرأ والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى: يا أبا موسى :ذكِّرنا ربَّنا، فيقرأ وهم يستمعون»(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على حديث ابن عباس رضي الله عنه: «يستفاد منه المدارسة، وأنّه يستحب للمؤمن أن يدارس القرآن من يفيده وينفعه؛ لأنَّ الرسول ﷺ دارس جبرائيل للاستفادة؛ لأنَّ جبرائيل هو الذي يأتي من عند الله جل وعلا، وهو السفير بين الله والرسل. فجبرائيل لا بد أن يفيد النبي ﷺ أشياء من جهة الله عز وجل، من جهة إقامة حروف القرآن، ومن جهة معانيه التي أرادها الله، فإذا دارس الإنسان من يعينه على فهم القرآن، ومن يعينه على إقامة ألفاظه، فهذا مطلوب، كما دارس النبي ﷺ جبرائيل ... لكن المدارسة فيها خير كثير للنبي ﷺ وللأمة؛ لأنها مدارسة لما يأتي به من عند الله، وليستفيد مما يأتي به من عند الله عز وجل... وفيه أيضًا من الفوائد: شرعية المدارسة، وأنها عملٌ صالح، حتى ولو في غير رمضان؛ لأنَّ فيه فائدة لكل منهما ولو كانوا أكثر من اثنين، فلا بأس يستفيد كل منهم من أخيه ويشجعه على القراءة وينشطه، فقد يكون لا ينشط إذا جلس وحده، لكن إذا كان معه زميل له يدارسه أو زملاء كان ذلك أشجع له وأنشط له، مع عظم الفائدة فيما يحصل بينهم من المذاكرة والمطالعة، فيما قد يشكل عليهم كل ذلك فيه خير كثير»(٣).

---

(١) ذكره الذهبي في السير ٤/ ٢٧٤، عن محمد بن شعيب بن شابور: أخبرني يزيد بن عبيدة به.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٥٥٩ .

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ١١/ ٣٣١.

فدلّت هذه الأحاديث والآثار وغيرها على مشروعية تدارس القرآن بل على فضله ومكانته.

ومما يدل على أهمية تدارس القرآن ومكانته، أنَّ عددًا من العلماء جعلوا أبوابًا في كتبهم للاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسته، ففي صحيح مسلم بابٌ بعنوان: (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر)، أورد تحته عددًا من الأحاديث النبوية، التي تحثّ على الاجتماع على القرآن ومدارسته. وبوَّب الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه أخلاق حملة القرآن، بابًا بعنوان: (بابُ فضل الاجتماع في المسجد لدرس القرآن)، وغيرهم من العلماء والمؤلفين.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد روى حربٌ الكرماني بإسناده عن الأوزاعي... وبإسناده عن سعيد بن عبد العزيز، وإبراهيم بن سليمان، أنهما كانا يدرسان القرآن بعد صلاة الصبح ببيروت، والأوزاعي في المسجد لا يغير عليهم، وذكر حربٌ أنه رأى أهل دمشق، وأهل حمص، وأهل مكة، وأهل البصرة، يجتمعون على القرآن بعد صلاة الصبح، ولكنَّ أهل الشام يقرؤون القرآن كلهم جملة من سورة واحدة بأصوات عالية، وأهل البصرة وأهل مكة يجتمعون؛ فيقرأ أحدهم عشر آيات والناس ينصتون، ثم يقرأ آخر عشر آيات حتى يفرغوا.. قال حربٌ: وكلٌّ ذلك حسنٌ جميلٌ، وقد أنكر مالكٌ على أهل الشام. وقال زيد بن عبيد الدمشقي: قال لي مالكُ بن أنسٍ: بلغني أنكم تجلسون حلقًا تقرؤون، فأخبرته بما كان يفعل أصحابنا، فقال مالك: عندنا كان المهاجرون والأنصار ما نعرف هذا! قال: فقلت: هذا طريف، قال: وطريفُ رجلٌ يقرأ ويجتمع الناس حوله، فقال: هذا من غير رأينا... وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: لم تكن القراءة في المسجد (في المصحف)[1] من أمر

(١) جاءت مقيدة في المصحف في كتاب الجامع في السنن والآداب لابن أبي زيد القيرواني ص١٦٤، وفي كتاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٢/ ٧٣. وتقييدها بالمصحف تزيل إشكالًا قد يرد عند البعض .

الناس القديم، وأولُ من أحدث ذلك في المسجد الحجاج بن يوسف ... واستدل الأكثرون على استحباب الاجتماع لمدارسة القرآن في الجملة، بالأحاديث الدالة على استحباب الاجتماع للذكر والقرآن أفضل أنواع الذكر»[١].

فـ«...إذا قرأ كل واحد لنفسه، أو تدارسوا القرآن جميعًا، كلما فرغ واحدٌ قرأ الآخر، واستمعوا له، فهذا من أفضل القرب؛ لقول النبي ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[٢].

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٢٥، ح ٣٦ .

(٢) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية – المجلد الخامس والعشرون، العقيدة .

المبحث الرابع
أنواع تدارس القرآن [1]

من خلال استعراض موضوع تدارس القرآن، نستطيع أن نلحظ ثلاثة أنواع لتدارس القرآن الكريم وهي :

النوع الأول: تدارس القرآن جميعًا:

وذلك بأن يتفق المتدارسون على تدارس القرآن جميعًا، بدأً بالفاتحة وختمًا بالناس، ويكون التدارس فيه على فترات متتالية، حتى يتم استعراض جميع آيات وسور القرآن الكريم، ويُجَدَّدُ لكل مجلس جزءًا محددًا من القرآن، ومن ثمَّ يتم تلاوته تلاوةً مجودةً، وبعدها يتم تدارس تلك الآيات المحددة، مع مراعاة ضوابط التدارس. ويحتاج هذا النوع إلى طول نفس ومصابرة؛ ليتم استعراض القرآن الكريم جميعًا.

وميزة هذا النوع: هو استعراض جميع آيات القرآن وختمه، وسيظهر للمتدارسين أسلوب الإعجاز القرآني في معالجة القضايا القرآنية؛ لاختلاف عرضها من موضع إلى موضع آخر، وكذا سيظهر لهم الترابط بين الآيات والسور القرآنية.

النوع الثاني: تدارس موضوع معين في القرآن:

وذلك بأن يختار المتدارسون للقرآن موضوعًا معينًا، مثل: (الإيمان، الصلاة، الحج، الصوم، الصبر، المرأة، الجهاد، المنافقون...) ، يلحظ المتدارسون أنَّ القرآن الكريم تعرض إليه بأساليب متنوعة في العـــرض والتحليل والمناقشة والتعليق، ثم تجمـع الآيات التي تحدثت عن ذلك الموضوع، في جميع سور القرآن الكريم استحضارًا، أو بالاستعانة بالمعاجم أو الحاسوب، وبعد جمع الآيات، يتم تلاوتها تلاوة مجودة، ومن ثمَّ يتم تدارس تلك الآيات -مع مراعاة ضوابط التدارس-، وعدم التفصيل في الأمور الجزئية في تفسير الآيات، إلا بمقدار ما يخدم الموضوع

(١) لم أقف على من ذكر هذه الأنواع ، ولكن اجتهدت في وضعها ، مستفيدا ممّن كتب في التفسير الموضوعي ، وذكر أنواعه.

ويتصل به اتصالًا أساسيًّا مباشرًا؛ ليتمكن المتدارسون من فهم الموضوع وإدراك أسراره من خلال القرآن .

وميزة هذا النوع: الإحاطة الشاملة بالموضوع المختار من نظرة قرآنية، ومعرفة كيف عالج القرآن هذا الموضوع، وسيظهر للمتدارسين بعد جمعهم للآيات: أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن كأنما أنزل القرآن من أجله، وسيظهر أيضا لهم كثرة الموضوعات التي تطرق إليها القرآن، وناقشها باستفاضة .

النوع الثالث: تدارس سورة معينة في القرآن:

وذلك بأن يختار المتدارسون سورة معينة من القرآن الكريم، ومن ثمَّ يتم تلاوة تلك السورة تلاوةً مجودةً، فإن كانت السورة من الطِّوال، قُسِّمت السورة إلى أجزاء، ومن ثمَّ يتم تدارس تلك السورة -مع مراعاة ضوابط التدارس-، ويشتمل هذا النوع على تحديد الهدف الأساسي للسورة، أو غيره من الأهداف ودراسته من خلال تلك السورة. وغالبًا ما تكون السور القصيرة ذات موضوع واحد، وإذا طالت السورة فقد تكون ذات موضوع واحد، يتعدد طرحه من خلال سياقات متنوعة، وقد تكون ذات موضوعات متعددة، ويشتمل أيضا هذا النوع على التعرف على أسباب نزول السورة، ومكان نزولها، وترتيبها من بين سور القرآن، ويبين علاقة كل ذلك بهدف السورة .

وميزة هذا النوع: إحاطة المتدارسين بموضوع محدد، والتعرف على الوحدة الموضوعية لسور القرآن وأهدافها، حيث سيظهر لهم أنَّ للسورة هدفًا واضحًا ترمي إلى إيضاحه وبيانه والاستدلال له وبه، وتفصيل جوانبه وأبعاده، وسيظهر أنَّ لكل سورة من القرآن شخصية مستقلة تُعلمُ عند البحث فيها. مع التنبيه إلى عدم التكلف في البحث عن الوحدة الموضوعية للسورة -المتعددة المواضيع- خشيةً من القول على الله بغير علم.

المبحث الخامس

ضوابط تدارس القرآن الكريم

نظرًا لأهمية تدارس القرآن الكريم وفضله، ومن أجل أن يتم تحقيق التدارس الصحيح، لابد أن يكون التدارس وفق ضوابط معينة، حتى يحقق الهدف منه، ولا يحيد عنه.

لذا أحاول في هذا المبحث أن أضع ضوابط محددة لتدارس القرآن الكريم، وتختلف درجات تلك الضوابط من حيث قوة ضبطها للتدارس، إلا أنها مما تساعد على ضبط التدارس عمومًا. وكثيرًا من هذه الضوابط أُخذت من منهج النبي ﷺ، وصحابته الكرام في تعاملهم وتدارسهم للقرآن الكريم.

الأول: حسن القصد وتجريد النية لله تعالى وحده: فتدارس القرآن عبادة تفتقر إلى الإخلاص لله تعالى كغيرها من العبادات، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة :٥ ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى**»(١). فلابد من إخلاص النيَّة لله تعالى في تلاوة وحفظ القرآن الكريم، وتدارسه وتدبر معانيه.

وانحراف النيّة في التعامل مع القرآن الكريم منهيٌّ عنه، وورد الوعيد الشديد لمن لم يجرد النيّة لله تعالى في تعامله مع القرآن الكريم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أولَّ النَّاسِ يُقضَى يومَ القيامَةِ عَليه، رجلٌ استُشهِدَ فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نعَمَهُ فعَرَفَها، قال: فَما عَملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتّى استُشهِدتُ ،قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يُقالَ جَريءٌ، فقد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِب على وجهه حتّى أُلقِيَ في النَّار، ورجلٌ تَعَلَّم العِلم وعلَّمه، وقَرأَ القُرآن،**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح ١. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، ح ١٩٠٧ .

فأُتِيَ بهِ، فعرَّفهُ نعَمَهُ فَعَرَفها، قال: فما عَملتَ فيها؟ قالَ: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآنَ، قالَ: كذبتَ، ولكنَّكَ تعلَّمتَ العلمَ ليُقَال: عَالِمٌ، وقرأتَ القُرآنَ ليُقَال :هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار...» (١).

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثني رَسُولُ اللهِّ ﷺ: « **أَنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ، لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعى بِهِ، رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ،... ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٢).

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لقد أتى علينا حينٌ وما نرى أحدًا يتعلَّم القرآن يريد به إلا الله ﷻ، فلمَّا كان هاهنا بأَخَرَةٍ خشيتُ أنَّ رجالًا يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم»(٣). يقول الآجري رحمه الله معقبًا على هذا الأثر: « فإذا كان عمر بن الخطاب ﷺ قد خاف على قومٍ قد قرأوا القرآن في ذلك الوقت بميلهم إلى الدنيا، فما ظنُّك بهم اليوم ؟»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح ١٩٠٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة، ح ٢٣٨٢، وقال: حسن غريب، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٧٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وكذا في صحيح الترغيب والترهيب ح ٢٠.

(٣) أخرجه الفريابي في فضائل القرآن ١/ ٢٤٣، وعبدالرزاق في المصنف ٣/ ٣٨٣، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص٧٠.

(٤) يقوله الآجري رحمه الله وهو المتوفى عام ٣٦٠ هـ، فماذا نقول نحن في القرن الرابع عشر؟! والله المستعان .

فلابد من خلوص النية لله تعالى، وتجديدها في كل وقت وحين، والبعد كل البعد عن كل ما يصرف عن النية الخالصة. ومَن حَسُن قصده وجُرِّدت نيته لله تعالى تلذّذ بكتاب الله، وانشرح صدره لفهمه، وتفتحت له معاني القرآن، وهُدِي- بإذن الله- إلى الحق والصواب .

الثاني: اختيار الوقت المناسب للتدارس:

من الأمور التي تضبط عملية التدارس اختيار الزمان الفاضل، واختيار الوقت المناسب للتدارس، والتي يشعر بها الإنسان بانشراح صدر وخلو من المشاغل. قال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل :٢-٦] . قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية: «...والغرض أن ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ هي ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾ [المزمل:٧]».

وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدَارس النبيَّ ﷺ القرآن في كل عامٍ مرة، فيلقاه في كل ليلةٍ في شهر رمضان حتى ينسلخ. عَن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كانَ النبيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حين يلقاه جِبْرِيلُ، وكانَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلقَاهُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ من رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيرِ مِن الرِّيحِ المُرسَلَةِ»(١).

وفي الحديث دلالة على أن الوقت الذي اختاره الله لهما لمدارسة القرآن هو كل ليالي رمضان، وهذا الوقت الذي اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس مجرد توافق بين النبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، ح ٤٩٩٧ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان النبي أجود بالخير من الريح المرسلة، ح ٢٣٠٨ .

وجبريل عليه السلام، بل هو توقيفٌ إلهيٌّ؛ لأنَّ الله -تعالى- قال عن الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم:٦٤] ، فبيّن ﷺ أنَّ وقت تنزّل الملائكة إنما يكون بتوجيه إلهي، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ألا تزورنا أكثر ممّا تزورنا** ؟ قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم :٦٤] »(١).

قال ابن رجب رحمه الله: «وفي حديث ابن عباس -أنّ المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلًا - فدلَّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلًا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل :٦] »(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعليقاً على حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «وفيه فائدةٌ أخرى وهي: أن المدارسة في الليل أفضل من النهار، لأنَّ هذه المدارسة كانت في الليل، ومعلوم أنَّ الليل أقرب إلى اجتماع القلب وحضوره والاستفادة أكثر من المدارسة نهارًا»(٣).

«وقد وصف الله تعالى حال عباده من أهل الكتاب في معرض الثناء عليهم، فقال تعالى:﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، فتضمنت الآية المِدحة لهم بتلاوة آيات الله آناء الليل، وفي هذا التنبيه على أثر الليل في تلاوة التالين بما لا يخفى»(٤).

فاختيار الوقت المناسب أقرب إلى اجتماع القلب وحضوره، مما يعين على تدارس القرآن، وفهم معانيه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٣٢١٨ .

(٢) لطائف المعارف، لابن رجب ص٣١٥.

(٣) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ١١/ ٣٣١.

(٤) قواعد التدبر، د. حسين الحربي ص ٢٣.

الثالث: اختيار المكان المناسب للتدارس:

لابد من اختيار مكان مناسب للتدارس، وذلك بأن يكون المكان نظيفًا ومريحًا، تتوافر فيه وسائل الراحة، خاليًا من الملهيات التي تصرف عن القرآن الكريم، بعيدًا عن مواطن اللغو واللغط والسّخب. وأفضل مكان لتدارس القرآن الكريم هو المسجد، بل هو أساسها ومبدؤها، فالمسجد خير البقاع، وهي التي يذكر فيها اسم الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٦-٣٧] ، ووردت أحاديث كثيرة في فضل الاجتماع لتعلم القرآن ومدارسته في المساجد، منها ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغشيتُهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**» (١).

وعن عقبة بن عامر ﷺ، قال: « خرجَ رسولُ اللهَّ ﷺ، ونحنُ في الصُّفَّة، فقالَ: **أيكم يُحبّ أَن يغدُوَ كلّ يَومٍ إلى بُطحانَ، أو إلى العقيقِ فيأتِي منهُ بِناقتينِ كَومَاوَينِ، في غَيرِ إثمٍ، ولا قَطعِ رَحمٍ؟** فَقلنا: يا رسول اللهَّ، نحبُّ ذلك. **قال: أفلا يَغدُو أَحَدكُم إلى المَسجِدِ فيعلم، أَو يَقرَأ آيَتَينِ مِن كتابِ اللَّه ﷻ، خَيرٌ لهُ مِن نَاقتينِ، وثلاثٌ خَيرٌ لهُ مِن ثَلاثٍ، وأَربعٌ خَيرٌ لهُ مِن أربعٍ، ومِن أَعدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**»(٢).

ومن أحيا المسجد بذكر الله تعالى وتلاوة كتابه ومدارسته، فإنَّ الله تعالى يباهي بهم الملائكة، فعن أبي سعيد الخدرِيِّ ﷺ قال: خَرجَ مُعاويةُ على حَلقَةٍ في المَسجِدِ، فقالَ: مَا أَجلَسَكُم؟ قَالُوا: جَلَسنَا نَذكر اللهَّ ﷻ قال: آللهَّ، ما أَجلَسَكُم إِلا ذَاك؟ قَالوا:

(١) تقدم تخريجه في ختام المبحث الثالث.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ح ٨٠٣.

واللهَّ، ما أَجلَسنا إلا ذَاكَ، قال: أما إِنِّي لَمْ أَسْتَحلِفكُم تُهمَةً لَكُم، مَا كَانَ أَحد بمَنزِلَتِي مِن رَسول الله ﷺ، أَقَلّ عَنهُ حَدِيثًا منِّي، وإِنَّ رسول الله ﷺ خَرجَ عَلى حَلقةٍ مِن أَصحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجلَسَكُم؟**» فَقَالُوا : جَلَسنا نَذكُرُ اللهَّ وَنَحمدُه على مَا هدانَا لِلإِسلام، وَمَنَّ به عَلَينَا، فَقَالَ: «**آللَّهِ، مَا أَجلَسَكُم إلا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهَّ مَا أَجْلَسَنَا إلا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لم أَستَحلِفُكُم تُهمَةً لَكُم، وَلَكِنَّه أتاني جِبرِيل، فَأَخبرِني أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ**» (١).

وكان من هدي السلف الصالح -رضوان الله عليهم- اتخاذ المساجد مكانًا للتعليم والتربية، وتدارس القرآن. ويعتبرون تلاوة وتدارس القرآن هو ميراث محمد ﷺ، فعن الأعمش قال: مرّ أعرابي بعبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو يقرئ قومًا القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: «يقتسمون ميراث محمد ﷺ »(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وتعليم القرآن في المسجد لا بأس به، إذا لم يكن فيه ضرر على المسجد وأهله، بل يستحب تعليم القرآن في المساجد»(٣) .

قال النووي رحمه الله: «ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة(٤): الاجتماع في مدرسة، ورباط، ونحوهما -إن شاء الله تعالى- ، ويدلُّ عليه الحديث الذي بعده، فإنه مطلقٌ يتـناول جميع المواضع، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج على الغالب، لا سيما في ذلك الزمان، فلا يكون له مفهوم يُعمل به»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ٢٧٠١.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢١.

(٣) مجموع الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٤٤.

(٤) الفضيلة هي: نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وصلاة الملائكة عليهم ، وذكر الله لهم، الواردة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغشيتُهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**».

(٥) شرح صحيح مسلم ١٧/ ٢٢.

وذهب آخرون إلى أنَّه لا يحصل هذا الثواب إلا لمن كان في بيتٍ من بيوت الله وذلك أنه «إذا دلَّ الكتاب والسنة على ثوابٍ معين بصفةٍ معينةٍ فإننا لا نتعداه، الرسول ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله**» وبيوت الله هي المساجد، فإذا اجتمع قومٌ في غير المساجد فإنه لا يكتب لهم هذا الأجر، لكنهم في اجتماعهم على خير ولا شك، أما الأجر الخاص الذي رُتِّبَ على هذا العمل الخاص، فإنه لا يحصل إلا بالأوصاف التي اعتبرها الشارع»[(١)].

الرابع: مراعاة آداب مجلس التدارس:

مجلس التدارس هو مجلس يتدارس فيه أفضل كلام وأشرفه؛ لذا ينبغي للمتدارس للقرآن الكريم أن يلزم الأدب في مجلس التدارس، إجلالًا للقرآن الكريم وتعظيمًا له: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج :٣٢] ، ومن الآداب التي ينبغي مراعاتها في مجلس التدارس :

١) حسن الجلوس، وذلك بأن تكون هيئة الجلوس بصورة تساعد على حسن الاستماع للقرآن، فالمجلسُ إنما هو مجلسُ قرآنٍ وذكرٍ لله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف :٢٠٤] .ومما يساعد على ذلك أن يعمد الجُلَسَاءُ إلى التَّحَلُّقِ في المجلس -ما أمكن- بأن يكون جلوسهم على هيئة حلقة، وتقارب بعضهم من بعض؛ لما ثبت في الحديث من فضل التَّحَلُّقِ لطلب العلم والذِّكْر، فمن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا! قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذِّكْر**»[(٢)]. وكان من هدي السلف في تعلمهم للقرآن التحلّق، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « تعلمنا القرآن في هذا المسجد

(١) قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في لقاء الباب المفتوح .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، ح٣٥١٠ وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه البيهقي في الشعب١/ ٣٢٢ من حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ١٣٠ح٢٥٦٢).

-يعني مسجد البصرة- وكنا نجلِسُ حِلَقًا، حِلَقًا، وكأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين، وعنه أخذت هذه السورة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق :١] ، قال: وكانت أول سورة أنزلت على محمد ﷺ»(١).

وإن لم يستطع التحلّق بسبب طبيعة المكان، فيُرتب المجلس ترتيبًا تعطيه هيبةً وجلالًا.

٢) نظافة الثوب والبدن، فحاضر مجلس القرآن ليس كغيره، فينبغي أن يكون نظيف الثوب والبدن، طيب الرائحة، منظفًا فاه بالسّواك أو غيره؛ لأن الفم هو آلة القراءة، وفي ذلك تعظيم لكلام الله ﷻ، وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآنِ فطيّبُوها بالسِّواك»(٢). وكان ﷺ «إذا قامَ من الليل يَشُوصُ فاهُ بالسِّواك»(٣)؛ لأنّه يريد الصلاة وقراءة القرآن .

قال الآجري رحمه الله: «وأحب لمن أراد قراءة القرآن من ليل أو نهار أن يتطهر وأن يستاك، وذلك تعظيم للقرآن، لأنَّه يتلو كلام الرب ﷻ»(٤).

٣) عدم الانشغال بغير التدارس، بلهو أو عبث أو انشغال فيما لا ينفع، ومن ذلك الانشغال بلغو الحديث، أو بوسائل الاتصال الحديثة، أو الانشغال بالنظر للمارة، أو بطول التفكير وشرود الذهن، حيث إنّ هذه المشغلات وغيرها مما يصرف عن العيش مع القرآن، وتدبره وفهم معانيه. وقد صف الله - تعالى- المفلحين من

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».
وانظر: مجالس القرآن، لفريد بن الحسن الأنصاري .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة وسننها ، باب السواك ، ح ٢٩١، موقوفا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة موقوفًا .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٩٦ من طريق سعيد بن جبير عن علي بن أبي طالب مرفوعًا. قال ابن حجر في التلخيص الحبير ١/ ١١٦: «رواه أبو نعيم، ووقفه ابن ماجه، ورواه أبو مسلم الكجي في السنن، وأبو نعيم من حديث الوضين، وفي إسناده مندل، وهو ضعيف».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب السواك، ح ٢٤٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ح ٢٥٥. من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٤) أخلاق حملة القرآن ص٧٣ .

المؤمنين بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣] ، فلا ينبغي أن يخالط مجلسَ التدارس إلا ما كان من قبيل العلم، والذِّكر، والتدبر، والتفكر، والاعتبار.

٤) احترام المشتغلين بالتدارس، فلا سخرية ولا استهزاء، ولا احتقار ولا لمز أو همز، فقد يصدر من بعض الجالسين خطأ في تلاوة أو تفسير؛ لسوء فهمهم للآية، فليس من الأدب السخرية أو الضحك أو احتقار قائلها، فإنّ هذا مما ينافي أدب التعلم في المجلس.

الخامس: حسن إدارة مجلس التدارس:

مجالس التدارس تحتاج إلى إدارة جيدة تضبط عملية التدارس فيها، حتى يتم الانتفاع منها، ولا تخرج عن الهدف الذي أنشئت من أجله. ومن الأمور التي تراعى في إدارة المجلس :

١) اختيار شخص من المجلس ينظّم سير المجلس، ويرتب أولوياته؛ تجنبًا للفوضى والارتجال، أو الانزلاق إلى غير أهداف مجالس القرآن. وإيقاف من يخرج عن الهدف، وتنبيه من ينشغل عن التدارس، أو يشرد عنه، وقد يكون هذا المسيِّر من أهل العلم، أو من أهل الصلاح والورع عمومًا، أو ممن يتمّ اختياره لغير ذلك من الأسباب.

٢) ضبط الوقت، بحيث لا يكون طويلًا، فيصيب الحاضرين بالملل أو الفتور أو الشرود الذهني عنه. وأهمية متابعة توزيع الوقت توزيعًا متوازنًا بين جميع الآيات المحددة، حتى يتم تدارس الآيات المحددة عموما بنسق واحد، وبعد أن ينتهي الوقت تأتي ضرورة إنهاء المجلس عند الوقت المحدد، حتى تنشط النفوس للعودة مرة أخرى .

٣) إشراك الجميع في تدارس القرآن، كلٌّ بحسبه، وعدم استئثار بعض الحاضرين بالكلام دون بعض، إذ يجب التفريق والتمييز بين مجلس الوعظ، أو الدرس، أو

المحاضرة، أو نحو ذلك، وبين مجلس التدارس. فالتدارس مشاركة، كما تدل عليه صيغة (التفاعل) من عبارته، وذلك منطوق قوله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم...**».

٤) عدم كثرة عدد أعضاء المجلس، حيث إن الجمهور الغفير يصلح في المحاضرة، أو الخطبة، أو الدرس، لا التدارس، ولا يمكن أن يكون هناك تفاعل وتدارس في ظل الأعداد الكبيرة. ويمكن إذا زاد العدد بشكل ملحوظ[١] أن يكون بداية لمجلس قرآني جديد[٢].

السادس: تعظيم القرآن[٣]:

القرآن الكريم كلام الله، فهو عظيم لعظمة من تكلم به، عظيم لمكانة من نَزَل به، عَظيم لمقام من أُنزِل عليه، عظيم لخيرية من خوطب به، عظيم لفضل الزمن الذي نَزَل فيه، عظيم بتشريعاته وبمقاصده، وفي تأثيره وأثره، وفي لغته وأسلوبه، عظيم لكثرة وتنوع فضائله، فهو كمال مطلق؛ لأنه من عند الله. وصفه العظيم سبحانه بالعظمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر :٨٧] ، ولو أنزله الله على جبل من الجبال لتصدَّع صخره من شدة تأثره من خشية الله، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١] . وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد :٣١] ، أي: لكان هذا القرآن. فالآية بينت «فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ من الكتب الإلهية ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ جنانًا وأنهارًا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لكان هذا القرآن»[٤].

(١) يظهر أن العدد المناسب للمجلس القرآني ما يتردد بين العشرة والعشرين جليسا ، وأقل الجمع ثلاثة.

(٢) للاستزادة ينظر: مجالس القرآن، لفريد بن الحسن الأنصاري .

(٣) ينظر: عظمة القرآن الكريم، رسالة علمية مقدمة من محمود بن أحمد الدوسري إلى قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية باليمن ١٤٢٥، طبعتها دار ابن الجوزي .

(٤) تفسير ابن سعدي، سورة الرعد ، آية ٣١، (٤/ ١١١) .

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينبغي لتالي القرآن العظيم...أن يعلم أنَّ ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه ...»[1].

فإذا عرف الإنسان قدر هذا الكتاب ومنزلته الرفيعة، وأنه أفضل كلام سمعه الخلق، تمسك به وتأهب لتدارسه، واجتهد في تعلمه وتعليمه، وتفتحت له معانيه .

السابع: تعظيم المصحف [2]:

نظرًا لأن تدارس القرآن -غالبًا- يكون قراءةً في المصحف، فينبغي حسن الأدب مع المصحف الشريف، وتعظيمه واحترامه، وعدم مسِّه إلا على طهارة تامَّةٍ، وتنزيهه وصيانته عما لا يليق به، والبعد عن كل ما فيه امتهان له كتوسدّه، والاتكاء أو الوطء عليه، وتخَطِّيه، ومدّ الرجل إليه، ووضعه على الأرض، وتلويثه، وبلُّه بالريق، وكل ما ينافي تكريمه واحترامه؛ لأنه جمع بين دفتيه كلام الله -تعالى-. ومن استخف بالمصحف أو أهانه متعمدًا الاستخفاف به وانتقاصه فهو كافر.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن من استخفَّ بالقرآن، أو بالمصحف، أو بشيء منه، أو سبهما، أو جحده، أو حرفًا منه، أو آية، ...فهو كافر عند أهل العلم بإجماع» [3].

الثامن: تحديد جزء من القرآن لتدارسه:

لقد نزل القرآن على النبي ﷺ مفرقًا لحكمةٍ بالغة، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦] ، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وكان من منهج النبي ﷺ وصحابته -رضوان الله عليهم- في تلقي القرآن أخذه منجّمًا، فكانوا يأخذونه منجّمًا على عشر آيات. عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان الرجل

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص٥٣ .

(٢) ينظر: المتحف في أحكام المصحف، للدكتور صالح الرشيد، وجمال القراء، للدكتور الحميضي ص١٧١ - ١٧٣.

(٣) الشفا ٢/ ٥٤٩. وانظر: المتحف في أحكام المصحف د. صالح الرشيد .

منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يُجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن». وعن أبي عبدالرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ قال : « حدَّثنا الذي كانوا يُقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا :فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا».

ويختلف مقدار الجزء -الذي يُرغب تدارسه-، وذلك باختلاف الأشخاص والأزمان وغيرها، لكن لابد من تحديد جزء أو مقدار معين يتفق عليه لتدارسه حتى ينشط لتدارس القرآن كله.

ومما ينبغي التنبه له في تحديد مقدار الآيات المتدارسة، مراعاة أحكام الوقف والابتداء، ومراعاة الوحدة الموضوعية للسورة، وكذلك الوحدة الموضوعية للآيات المختارة، حتى لا ينقطع الترابط بين تلك الآيات، بغض النظر عن أنها وافقت التحزيبات أو الأجزاء الحالية للمصحف، أو لم توافقه، فإن التحزيبات الحالية للقرآن «تتضمن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئًا بمعطوف، كقوله تعالى : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء :٢٤] ، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الأحزاب :٣١] ، وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض -حتى كلام المتخاطبين- حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف :٧٥] ، ومثل هذه الوقوف لا يسوغ في المجلس الواحد إذا طال الفصل بينهما بأجنبي؛ ولهذا لو ألحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط ونحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبي، لم يسغ باتفاق العلماء ، ولو تأخر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين لم يسغ ذلك بلا نزاع »[(١)].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٤١٠.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة، أو وقف على غير آخرها، أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على آخر الكلام المرتبط، ولا يتقيد بالأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام المرتبط، كالجزء الذي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف :٥٣] ، وفي قوله تعالى : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٢٤] ، وفي قوله تعالى:﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل :٥٦] ، ... وكذلك الأحزاب كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة :٢٠٣] ،﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران :١٥] ، فكل هذا وشبهه ينبغي أن يبتدأ به، ولا يوقف عليه؛ فإنه متعلق بما قبله ولا تغترَّ بكثرة الفاعلين له من القراء، الذين لا يراعون هذه الآداب، ولا يفكرون في هذه المعاني ... ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة؛ فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس في بعض الأحوال »[(١)].

فلابد من مراعاة الوحدة الموضوعية للآيات، وترابط الآيات دون مراعاة الأحزاب أو الأجزاء فقط.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في تحزيب القرآن ذكر فيها مزايا التحزيب مع مراعاة السور[(٢)].

التاسع: تلاوة الجزء المتدارس من القرآن:

لابد من تلاوة الآيات تلاوة مجودة، قال تعالى:﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] . ففي الآية تعليم النبي ﷺ، وتعليم أمته كيف يقرؤون القرآن قراءة تدبر وتفهم وانتفاع، وكذلك أنزله الله تعالى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان :٣٢] .

---

(١) التبيان ص١١٢ .

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٤٠٥ - ٤١٦.

ويمكن أن يتلو الآيات تالٍ مجود لكتاب الله، ويمكن أن تُتَداولَ التلاوةُ بين جميع من حضر للتدارس أو بين أغلبهم، حسب ظروف المجتمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقراءة الإدارة حسنة عند أكثر العلماء، ومن قراءة الإدارة قراءتهم مجتمعين بصوت واحد، وللمالكية وجهان في كراهتها، وكرهها مالك، وأما قراءة واحد والباقون يستمعون له، فلا يكره بغير خلاف وهي مستحبة، وهي التي كان الصحابة يفعلونها كأبي موسى وغيره»(١).

والتلاوة المجودة والمتأنية المترسِّلَة غير العَجِلة، مع حسن أداء، ومراعاة الوقف والابتداء، تساعد على فهم الآيات .

لذا أنكر السلف -رضوان الله عليهم- على من يَهُذُّ القرآنَ هذًّا، ليس له همٌّ إلا إكمال السورة. فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لا تنثروه نثر الرَّمْل، ولا تهذُّوه هذَّ الشِّعْر، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»(٢). وجاء رجل إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: إني لأقرأ المفصَّل في ركعة، فقال عبدالله: «هذًّا كهذِّ الشِّعر؟ إنَّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه، نفع ..»(٣).

ونهى اللهُ -تعالى- النبيَّ ﷺ عن العجلة في أخذ القرآن وتلاوته، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [الفرقان :١٧-١٨] . وكانت قراءته ﷺ بتمهلّ وترتيل، فعن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان ﷺ يقرأُ بالسورة

(١) مجموع الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٤٤ .

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره ٨/ ٢٥١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٥٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة ح ٥٠٤٣، ومسلم في صحيحه -واللفظ له- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القرآن واجتناب الهذّ وهو الإفراط في السرعة ح ٨٢٢.

فَيُرَتِّلُها...» [(١)]. وسُئل أنس بن مالك ﷺ: كيف كانت قراءة النبيّ ﷺ؟ فقال: «كانت مَدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، يَمُدُّ بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويَمُدُّ بـ ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾، ويَمُدُّ بـ ﴿الرَّحِيمِ﴾»[(٢)].

ويحسن -لمن يتقنه- ذكر القراءات الصحيحة الواردة في الجزء المتدارس؛ وذلك: «أنّ للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال. والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة.

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد، والإمالات والتخفيف والتسهيل، والتحقيق والجهر والهمس والغنة ... وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات، مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] مَلِك ومَالِك، و ﴿نُنشِزُهَا﴾ و﴿نُنشِرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ بتخفيف الذّال أو ﴿قد كُذِّبُوا﴾ بتشديد الذّال [يوسف: ١١٠]، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل، كقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد[(٣)]. فالأولى بمعنى يصدُّون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صُدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم. وهي- الحالة الثانية- من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير؛ لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنىً غيره؛ ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يُكثر المعاني في الآية الواحدة، نحو ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، بفتح الطّاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطّاء وضم الهاء مخففة، ونحو ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣، المائدة: ٦]، لامستم ولمستم، وقراءة ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، مع قراءة ﴿الذين هم عند الرحمن﴾، والظنُّ أنَّ الوحي نزل بالوجهين وأكثر؛ تكثيرًا للمعاني إذا جزمنا بأن جميع الوجوه في

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ح ٧٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القراءة، ح ٥٠٤٦.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٦.

القراءات المشهورة هي مأثورة عن النبي ﷺ، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئًا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن، قد يكون معه اختلاف المعنى؛ ولم يكن حمل أحد القراءتين على الأخرى متعينًا ولا مرجحًا ... وأنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيرا لمعاني الآية غالبًا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن»[(١)].

فبعض القراءات قد تبين معنى الآية وتوضحه: مثل قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة :١٠٦] ، فقد تنوعت القراءات في ﴿نُنسِهَا﴾، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿نَنْسَأها﴾، بفتح النون والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء، ومعناها: نؤخر نسخها، أو نؤخر إنزالها، أو نمحها لفظا وحكما. وقرأ باقي العشرة: ﴿نُنسِهَا﴾، بضم النون وكسر السين من غير همزة، ومعناها من النسيان ضد الذِّكر، أو نترك إنزالها . وحاصل القراءتين: ما ينسخ الله من آية، أو ينسيها الرسول ﷺ، أو يؤخر نسخها، فإنّه -سبحانه- سيأتي بخير منها أو مثلها. فلم تظهر هذه المعاني إلا بجمع القراءات [(٢)].

وبعض القراءات قد توسع معنى الآية :كما في قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، فقرأ حمزة والكسائي: ﴿إِثْمٌ كَثِيرٌ﴾ بالثاء المثلثة، ونقيضه قليل، من الكثرة؛ لما تحدثه الخمرة لشاربها من آثام كثيرة، من لغطٍ وتخليطٍ وسبٍّ، وأيمانٍ وعداوةٍ وخيانةٍ ...، وقرأ باقي العشرة: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالباء الموحدة، ونقيضه صغير، من الكبر،

(١) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ١/ ٥١.

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع ص٧٦، النشر في القراءات العشر٢/ ٢٢٠، الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ١/ ٧٠.

على معنى العظم، أي: إثم عظيم. وحاصل القراءتين تأكيد تحريم الخمر لعظم إثمها، وكثرة آثامها. فجمع القراءتين وسَّع معنى الآية [١].

وبعض القراءات قد تزيل إشكالا في الآية: كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه :٩٧] ، قرأ أبو جعفر -من رواية ابن وردان عنه-: ﴿لَنَحْرُقَنَّه﴾، بفتح النون وإسكان الحاء وتخفيف الراء المضمومة، من حرقت الحديد إذا بردته فتحاتّ وتساقط، أي لنبردنه، ولنحتنّه حتًّا، وقرأ باقي العشرة : ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾، بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء المشددة، من الحرق بالنار مرة بعد مرة. وفي قراءة الجمهور إشكال؛ إذ كيف يُحرقُ العجلَ وينسفُ في اليم نسفاً وهو من ذهب؟ وحاصل القراءتين يدفع هذا الإشكال، فقد أفادت القراءتان أنَّ موسى عليه السلام توعَّد العجل بأن يحرقه بالنار حرقًا شديدًا، ويبرده بالماء حتى يتحاتّ ويتساقط، ثم يذروه في البحر فيضيع فيه . فلم يزل الإشكال إلا بجمع القراءتين[٢]. فمعرفة القراءات مهم ومفيد في تدارس القرآن الكريم[٣].

العاشر: الالتزام بآداب التلاوة:

تدارس القرآن الكريم أساسه تلاوة كتاب الله وتدبره، لذا ينبغي التحلي بآداب التلاوة الواجب منها والمستحب.

ومن الآداب: الطهارة ولو لم يمس المصحف، فإنْ مَسَّ المصحف كانت الطهارة واجبة لمسِّه المصحف. قال الآجري رحمه الله: «وأحبُّ لمن أراد قراءة القرآن من ليل أو نهار، أن يتطهَّر، وأن يستاك، وذلك تعظيم للقرآن ؛ لأنه يتلو كلام الرب عز وجل»[٤].

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع ص ٨٠، النشر في القراءات العشر٢/ ٢٢٧، الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ١/ ١٠١ .

(٢) انظر: المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٠، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٧٥، القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ٦٦٩.

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ١/ ٤٠١ - ٦٧٦.

(٤) أخلاق حملة القرآن ص٧٣ .

ومن الآداب: استقبال القبلة -ما أمكنه ذلك- قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة ... ويجلس متخشِّعًا بسكينة ووقار ... ولو قرأ قائمًا، أو مضطجعًا، أو في فراشه، أو غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول»(١).

ومن الآداب: الاستعاذة والبسملة قبل القراءة، كما أمر الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل:٩٨- ٩٩]. وثبوت قراءة البسملة عن النبي ﷺ، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «بينَا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهُرنا، إذ أغفى إغفَاءةً، ثم رفع رأسَه متبسِّمًا، فقلنا ما أضحكَكَ يا رسولَ الله؟ قال: **أُنزلتْ عَليَّ آنِفًا سورةٌ، فقرأ:** بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر:١-٣] »(٢).

ومن الآداب: أن يسجد سجدة التلاوة إذا مرّ بآية فيها سجدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة:١٥] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ، كان يقرأ القرآن، فيقرأ سورة فيها سجدة، فيسجد ونسجد معه، حتى ما يجد بعضنا موضعًا لمكان جبهته»(٣).

ومن الآداب: السؤال والتعوذ والتسبيح أثناء التلاوة، فإذا مرّ بآية تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوّذ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صلَّيتُ مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ، فافتتح البقرة، فقلتُ: يركع عند المائة، ثمَّ مضى، فقلتُ: يصلِّي بها في ركعة، فمضى، فقلتُ: يركعُ بها، ثم افتتح النِّساء فَقَرَأها، ثم افتتح آل عمرانَ فَقَرَأها، يَقرأُ مُتَرَسِّلًا، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مَرَّ بآيةِ سؤالٍ سألَ، وإذا مَرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذ...»(٤). وفِعْلُ هذا -خارج الصلاة- لا إشكال فيه البتة، ولم

(١) التبيان ص٨٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ح ٤٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ح ١٠٧٦، ومسلم، كتاب المساجد، باب سجود التلاوة، ح ٥٧٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح ٧٧٢.

يمنعه أحد، فعن عمر بن الخطاب ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] ، قال: «إذا مرَّ بذكر الجنَّة سأل الله الجنَّة، وإذا مرَّ بذكر النَّار تعوّذ بالله من النَّار»(١). قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:«قال أصحابنا رحمهم الله: ويستحب هذا السؤال، والاستعاذة، والتسبيح، لكل قارئ ...»(٢).

ومن الآداب: الخشوع أثناء التلاوة تأثراً بالقرآن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر:٢٣] . قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأحب لمن تلا القرآن أن يقرأه بحُزن، ويبكي إن قدر ، فإن لم يقدر تباكى»(٣).

ومن الآداب: الترتيل والتغني بالقرآن، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [القلم:٤] ، وقول النبي ﷺ: «**ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ مَا أَذِنَ لنَبيٍّ يَتَغنَّى بالقرآن يَجهرُ بِهِ ما اجتمع**»(٤). قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه: أنَّ الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسِّنُها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت؛ لكمال خَلْقِهم، وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك»(٥). ويستحب تحسين الصوت بالقرآن، لقوله ﷺ: «**زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكُم**»(٦).

ومن الآداب: عدم قطع التلاوة لكلام الناس أو لغيره إلا لحاجة ماسةٍ أو ضرورة، وعدم الانشغال عن القراءة بما لا علاقة له بها، وإذا أراد أن يكلِّم أحدًا فإنه يُنهي الآية، أو ينهي السورة ثم يتكلّم، فإذا تكلّم بكلام الدنيا رجع فاستعاذ وشرع في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٨ رقم ١١٦٠، من طريق أسامة بن زيد عن أبيه عنه.
(٢) التبيان ص٩٥.
(٣) أخلاق حملة القرآن ص١٠٢. وينظر: جمال القراء د. الحميضي .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، ح٥٠٢٣، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، ح ٧٩٢ .
(٥) فضائل القرآن ص٧٩.
(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوتر، باب استحباب الترتيل في القراءة ، ح ١٤٦٨. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

القراءة مرةً أخرى؛ لأنَّ كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره، ويؤيده ما جاء في الصحيح عن نافع قال: «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلَّم حتى يفرُغَ منه»(١).

الحادي عشر: حضور القلب عند القرآن:

ينبغي قبل تدارس القرآن قطع القلب من المشاغل والأفكار، وجمع القلب عند تلاوة القرآن؛ ليتمكن من الانتفاع به، قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أردت الِانتِفَاع بالقُرآنِ: فاجمع قَلبك عند تِلاوته وسماعه، وألقِ سَمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلّم به سُبحانه مِنه إِليه؛ فإنه خَطابٌ منهُ لك على لسَان رَسُوله ﷺ، قال تَعالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣]، وذلِك أَن تَمام التَّأثِير لمَّا كَان مَوقوفًا على مؤثِّر مُقتَضٍ، وَمحلٍّ قَابلٍ، وَشرطٍ لحُصُول الأَثر، وَانتِفاء المَانِع الذِي يمنَع مِنهُ، تضمّنت الآيَةُ بَيَان ذَلِك كلّه، بأوجز لفظٍ وأبينه، وأدلّه على المُرَاد. فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾، إشارة إلى ما تقدّم من أوّل السُّورة إلى هَاهنا، وهذا هُوَ المؤثّر. وَقَوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾، فَهذَا هُو المحل القَابِل، وَالمرَاد بِهِ القلب الحيّ الذِي يعقل عَن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس :٦٩-٧٠]، أَي حيّ القلب. وَقَوله: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾، أَي وجَّه سَمعه، وأصغى حاسّة سَمعه إِلَى مَا يُقَال لَهُ، وَهَذَا شَرط التأثّر بالكلَام. وَقَوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، أَي شَاهد القلب، حَاضر غير غَائِب، قَالَ ابْن قُتيبَة رحمه الله: استمَعَ كتاب الله وَهوَ شَاهد القلب والفهم، لَيسَ بغافل وَلَا ساهٍ، وَهُوَ إِشارَة إِلَى المَانِع من حصول التَّأثِير، وَهُوَ سَهو القلب وغيبته عَن تعقّل مَا يُقَال له، وَالنَّظَر فيه وتأمّله. فَإِذا حصل المؤثر وهو القُرآن، وَالمحل القَابِل وَهُوَ القلب الحَيّ، وَوُجد الشَّرط، وَهُوَ الإصغاء، وانتفى المَانِع، وَهُوَ اشتِغَال القلب وذهوله عَن معنى الخطاب، وانصرافه عَنهُ إِلَى شَيء آخر، حصل الأَثر وَهُوَ الِانْتِفَاع والتذكّر»(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ ٤٥٢٦، عن ابن عمر موقوفًا.
(٢) الفوائد، ص١٥.

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا كان العبد مُصغيًا إلى كلام ربِّه، ملقيَ السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرًا إلى قدرته، تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئًا من حَوله وقوّته، معظِّمًا للمتكلِّم، مفتقرًا إلى التفهّم، بحالٍ مستقيم، وقلبٍ سليم، وقوةِ علمٍ، وتمكُّنِ سمعٍ لفهم الخطاب، وشهادة غيب الجواب، بدعاءٍ وتضرعٍ، وابتئاس وتَمسكن، وانتظارٍ للفتح عليه من عند الفتاح العليم. وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوتُه على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم؛ من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد؛ فهذا القارئُ أحسنُ الناس صوتًا بالقرآن؛ وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:١٢١]. وهذا هو الراسخ في العلم؛ جعلنا الله من هذا الصنف ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤] »[(١)].

وينبغي إنهاء تدارس القرآن إذا انشغلت القلوب عنه، فعن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»[(٢)]. على معنى أن الاختلاف انشغال القلوب عنه وإصابتها بالملل. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الحديث -يعني حديث جندب-: أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أرشد وحضَّ أمته على تلاوة القرآن، إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته، متفكرةً فيه، متدبرةً له، لا في حال شغلها وملالها؛ فإنه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك»[(٣)].

الثاني عشر: استشعار متدارس القرآن بأن القرآن يخاطبه ويأمره وينهاه هو دون غيره:

ينبغي حال تدارس القرآن أن يستشعر المتدارس أنَّ كلَّ خطابٍ في القرآن موجّه إليه شخصيًّا، إذ من الخطأ استشعار أنَّ القرآن خطاب للآخرين، أو أنَّ تلاوته للبركة

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨١ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب اقرؤوا القرآن، ح ٥٠٦١، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح ٢٦٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٨٨ .

والثواب فقط، بل لابد أن يعيش مع القرآن، ويجمع قلبه عنده، ويلق سمعه له؛ لينتفع به. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قاعدة جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] »[(١)]. ولهذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، فأرعها سمعك: فإنه خيرٌ تؤمر به، أو شرٌ تنهى عنه»[(٢)]. وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ من كان قبلكم – يقول للتابعين في زمانه وأتباعهم- رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار»[(٣)]. أي: يعملون بها في النهار.

الثالث عشر: تدبر آيات القرآن:

لقد أنزل الله القرآن الكريم هداية للناس وبشرى للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]، وحثَّ سبحانه على تدبر القرآن وتعقله، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف :٢] وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] وجعل الله التدبر والتذكر علّةً لإنزال القرآن: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] .

وتدارس القرآن وسيلة من وسائل تدبر القرآن ومعين عليه، لذا ينبغي أن يستشعر متدارس القرآن أهمية التدبر لآيات القرآن؛ ليدرك بركة القرآن وخيره، ويدخل فيمن أثنى الله عليهم بتدبرهم لآياته، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا

(١) الفوائد ص٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٩٦، وفي إسناده مجهول وبقية رجاله ثقات، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص١٢، والإمام أحمد في الزهد ص١٥٨، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٣٠.

(٣) التبيان للنووي ص٥٤.

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، ولا يكون ممن ذمهم الله بتركهم تدبر القرآن، والإعراض عنه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] ، وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان :٧] .

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: « إذا دَرَسَ القرآن فبحضور فهم وعقل، همتُه إيقاع الفهم لما ألزمه الله تعالى من اتباع ما أمر، والانتهاء عما نهى، ليس همته متى أختم السورة»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنّه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة، والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر، ومرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم، خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن ... فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب »(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر ... وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه .. وتعطيه قوة في قلبه وحياة، وسعة وانشراحًا، وبهجةً وسرورًا، فيصير في

(١) أخلاق حملة القرآن ص ٦٠ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨٩ .

شأن والناس في شأن آخر... فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه ... وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل، وتناديه كلما فترت عزماته وَوَنِيَ في سيره تقدّم الركب وفاتك الدليل ...وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحِكَم والفوائد، وبالجملة: فهو أعظم الكنوز، طلسمه الغوص بالفكر إلى قرار معانيه...»[(١)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩] «أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنّه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدلّ على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأنّ القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.»[(٢)].

الرابع عشر: الحذر من تفسير القرآن بغير علم:

في تدارس القرآن تفسيرٌ لكلام الله تعالى وتفهّمٌ لمعانيه، لذا يحسن التنبيه إلى حرمة تفسير القرآن بغير علم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] فحرَّم الله- سبحانه- القول عليه بغير علم، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الأسراء :٣٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، ... وهكذا روي عن بعض أهل العلم عن أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أنهم شددوا في أن يُفسَّر القرآن بغير علم... فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم به،

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٨٥ .

(٢) تفسير ابن سعدي ٦/ ٤١٨ .

وسلك غير ما أمر به، فلو أنَّه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنّه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس عن جهل، فهو في النار، وإن وافق حُكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخفَّ جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم»[١].

«فالواجب على المسلم في تفسير القرآن، أن يشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه، فيكون معظّمًا لهذه الشهادة، خائفًا من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فيخزى بذلك يوم القيامة»[٢].

فلا يقدم على تفسير كلام الله تعالى بغير علم، لأنّه مترجم عن الله تعالى، والصحابة والتابعون -وهم أهل العلم والفضل وخير القرون - توّرعوا عن القول في تفسير كلام الله بغير علم، خوفًا من الخطأ، فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: « أيُّ أرضٍ تقلّني، وأيُّ سماء تظلّني، إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم »[٣].

وخوفًا من تفسير القرآن بغير علم، أو حدوث اختلاف في معنى الآية، فيحسن أن يختار تفسيرًا مختصرًا جيدًا للحصول على المعنى الأساسي للآية، دون الدخول في تفاصيلها الكثيرة ؛ لأن المجلس مجلس تدارس للقرآن، وليس درس تفسير.

ويقرأ هذا التفسير المختصر بعد التلاوة المجودة للآيات، حتى يستوعب أهلُ المجلس مقاصدَ الكلام، ثمَّ يُشْرَع بعد ذلك في تدارس الخطاب القرآني، من خلال ما تَحَصَّلَ في الذهن من معانٍ إجمالية للآيات.

الخامس عشر: البعد عن الجدل المذموم:

لمّا كان تدارس القرآن مدعاة للحوار والنقاش في الآيات المتدارسة، ونظرًا لوجود اختلاف تيارات وثقافات واتجاهات -أحيانًا- لدى المتدارسين للقرآن، مما قد يكون سببًا وداعيًا إلى الجدل في مدلولات بعض الآيات، فلا بد من ضبط مجلس

(١) مقدمة في أصول التفسير .

(٢) أصول في التفسير، للعثيمين ص٢٩ .

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٧، والطبري في تفسيره ١/ ٧٢ .

التدارس وعدم خروجه إلى جدل مذموم، يخالف ما أنشئ المجلس من أجله .

والجدل المذموم هو ما كان بغير علم، أو كان بقصد الغلبة والرياء، أو الجدل للباطل، أو كان لقصد الجدل فقط، قال تعالى ذامًّا هذا النوع من الجدل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [الحج:٣] وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج :٨] . وأما الجدل المحمود فلا حرج منه، وهو ما كان بقصد الوصول إلى الحق، ودفع الباطل، والدعوة بالحسنى؛ ولذلك قرنه الله بالدعوة فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ [العنكبوت :٤٦] . والنبي ﷺ نهى عن المِـرَاءِ [(١)] في القرآن الكريم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المِـرَاءُ في القرآن كفرٌ**»[(٢)]. ومن المراء المحرّم في القرآن: أن يحمل الآية على معنى ضعيف يخالف الحق، ويناظر على ذلك مع ظهورها له في خلاف ما يقول .

قال النووي رحمه الله: «يحرم المراء في القرآن والجدالُ فيه بغير حق؛ ومن ذلك أن تظهر له دلالة الآية على شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالًا ضعيفًا موافقة مذهبه، فيحملها على مذهبه، ويناظر على ذلك مع ظهورها له في خلاف ما يقول، وأمَّا من لا يظهر له ذلك فهو معذور، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**المراء في القرآن كفر**»[(٣)].

وحينما رأى النبي ﷺ جدالًا ومراءً في مجلس القرآن، نهى عنه وغضب من أجله

---

(١) المراء والامتراء والمماراة: المحاجّة فيما فيه مرية. والمرية: التردد في الأمر والشك فيه. (المفردات للراغب ص٧٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة ، باب: النهي عن الجدال في القرآن، ح ٤٦٠٣، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٨٦، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢١٢، وابن حبان في صحيحه ٤/ ٣٢٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٥، ح٢٩٣٧، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود عنه: "حسن صحيح"، وهو في صحيح الجامع ، ح ٦٦٨٧.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ١٤٠.

غضبًا شديدًا، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي[1] مجلسًا، ما أحبّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعَم، أقبلتُ أنا وأخي، وإذا مَشْيَخَةٌ من صحابة رسول الله ﷺ جلوسٌ عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حَجْرَةً[2]، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مُغْضَبًا، قد احمرّ وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: «**مهلاً يا قوم، بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربِهم الكتب بعضها ببعض، إنَّ القرآن لم ينزل يُكذّب بعضُه بعضًا، بل يُصَدِّق بعضُه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**»[3].

السادس عشر: إنهاء التدارس إذا وقع اختلاف في القرآن:

ينبغي إنهاء تدارس القرآن إذا وقع اختلاف في القرآن، يؤدي إلى الفرقة، فعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»[4]. قال ابن حجر رحمه الله: «**(اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)**، أي: اجتمعت. **(فإذا اختلفتم)** أي: في فهم معانيه. **(فقوموا عنه)**، أي: تفرقوا لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر...، ويحتمل أن يكون المعنى: اقرؤوا والزموا الائتلاف على ما دلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف، أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة، وتمسّكوا بالمحكم الموجب للألفة، وأعرضوا عن المتشابه المؤدي للفرقة...»[5].

---

(١) المتحدث: عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأخوه هو محمد بن عمرو بن العاص ، ذكر ذلك أحمد شاكر في تعليقه على الحديث في المسند ١٠/ ١٧٥.

(٢) حَجْرَةً: بفتح الحاء وسكون الجيم ، أي ناحية ، قعد حَجْرَةً وحَجْراً أي ناحية . (النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤٢، لسان العرب ٣/ ٢٥٨).

(٣) ينظر : كتاب عظمة القرآن الكريم ، لمحمد بن أحمد الدوسري.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب اقرؤوا القرآن، ح٥٠٦١، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ح ٢٦٦٧.

(٥) فتح الباري ٩/ ١٠١ .

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ: أنه سمع رجلًا يقرأ آية سمعَ النبيَّ ﷺ قرأَ خِلافها، فأخذتُ بيدِه، فانطلقتُ بهِ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**كِلاكما محسنٌ، فاقرآ - أكبر علمي- قال: فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم ما اجتمع**»(١). وفي هذا الحديث، والذي قبله الحضُّ على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المراء في القرآن بغير حق، ومن شر ذلك أن تظهر دلالة الآية على شيء يخالف الرأي، فيتوسع بالنظر وتدقيقه إلى تأويلها، وحملها على ذلك الرأي، ويقع اللجاج في ذلك والمناضلة عليه»(٢).

السابع عشر: البعد عن كل ما يصرف عن القرآن وتدبره:

تدارس القرآن يهدف إلى العيش مع القرآن، والاهتداء بهديه، والاستضاءة بنوره، والنهل من معينه، وهناك صوارف إذا تلّبس بها الإنسان حالت بينه وبين القرآن والاهتداء به وتدبره. ومن تلك الصوارف :

١) الذنوب والمعاصي، وهي من أعظم ما يصدّ عن اتعاظ القلب وانشراح الصدر لمواعظ القرآن، وحكمه وأحكامه، والتأثر بآياته، والتلذذ بتلاوته، قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٤-١٥] ، فالمعاصي كانت في الآية سببًا في تشكّل الحجاب المانع من رؤية الله تعالى ونيل رحمته. وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكتَ فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء...، ما اجتمع**». وهذه النكت التي تنكت في قلب العبد بسبب الذنوب والمعاصي، تصرف القلب عن القرآن والانتفاع به.

٢) الكبر، فهو يصرف القلب عن الانتفاع بالقرآن، وفى هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف :١٤٦] .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب اقرؤوا القرآن ، ح ٥٠٦٢.
(٢) فتح الباري ٩/ ١٠٢ .

٣) اتّباع الهوى والبدع ، فكل صاحب هوى أو بدعة تجده محجوبًا عن القرآن[١]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان :٢١] . قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فَهْمُ معاني الوحي حقيقة، ولا يَظهر له أسرارُ العلم من غيب المعرفة، وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبْر أو هوىً، أو حبّ الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمدًا على قول مفسّر ليس عنده علم إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله؛ وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكدُ من بعض»[٢]. وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليتخلى من موانع الفهم ...، ومن ذلك أن يكون التالي مِصرًّا على ذنب، أو متصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإنّ ذلك سبب ظلمة القلب وصداه، فهو كالجرب على المرآة، يمنع من تجلي الحق، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة »[٣].

الثامن عشر: العمل بالقرآن:

لابد أن يكون الهدف الأساس لتدارس القرآن هو اتباعه والعمل به ؛ لأنَّ القرآن لم ينزل إلا للاتباع والعمل، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[الأنعام : ١٥٥] ، وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] ، وأثنى سبحانه على المتبعين لآياته، المستجيبين لتوجيهاته، العاملين به، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾[الفرقان: ٧٣] . وقال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى:

---

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ، ص ٩٦.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٨٠، وانظر: رسالة بعنوان "صوارف فهم القرآن الكريم وعلاجها " من إعداد: سامية عاهد محمد حرب، وهي رسالة قدمت استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية .

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص٥٣.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ١٢١] : يتبعونه حق اتِّباعه[١]. قال ابن مسعود ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنَّ حقَّ تلاوته: أن يحلَّ حلاله، ويحرِّم حرامه، ويَقرَأه كما أنزله الله، ولا يُحَرِّف الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئًا على غير تأويله»[٢].

وصحابة رسول الله ﷺ كان من منهجهم في أخذهم القرآن هو قرن العلم بالعمل فعن ابن مسعود ﷺ قال: «كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يُجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[٣]. وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: «حدَّثنا الذي كانوا يُقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا :فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا» [٤].

فالعمل بالقرآن هو المقصود من إنزاله، وترك العمل بالقرآن، وعدم اتباعه، من أعظم أنواع هجره، ومما يدخل في مدلول قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان : ٣٠] [٥].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويعملُ به كالأُتْرُجَّةِ، طعمها طيّب وريحها طيّب**،...الحديث»[٦].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢/ ٤٨٧ – ٤٩٣، عن عدد من المفسرين، ونقل إجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢/ ٤٨٩، من طريق أبي العالية عنه.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٧٤، من طريق شقيق عنه.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٦٠٢٧ ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٦٠، وأحمد في مسنده ٥/ ٤١٠، وابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٧٥، من طريق عطاء بن السائب عنه به بألفاظ متقاربة. وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧٧، والبيهقي في الشعب ١٩٥٣، من طريق شريك، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن، عن ابن مسعود، نحوه. وقال الحاكم صحيح الإسناد. وانظر: جمال القراء للدكتور الحميضي ص٢٣– ٢٦.

(٥) انظر: قواعد التدبر وضوابطه وتطبيقاته، د. حسين علي الحربي ص١٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، ح ٥٠٥٩.

ووردت بعض فضائل القرآن مقيدةً بشرط العمل به، فعن النَّواس بن سمعان الكِلابيِّ، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: « **يُؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقدُمُهُ سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسولُ اللَّه ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهُنّ بَعدُ، قال: كأنهما غمامتان، أو ظُلَّتان سَوداوان، بينهما شَرْقٌ، أو كأنَّهما حِزقَان من طيرٍ صَوَافَّ، تُحاجَّانِ عن صَاحِبهما**»(١).

والقرآن كما هو حجّة لمن اتبعه وعمل بما فيه، فهو حجّة على من أعرض عنه، ولم يعمل به ،كما قال ﷺ: «**والقرآنُ حجّةٌ لك أو عليك**»(٢).

فمن اشتغل بتدارس القرآن كان واجبًا عليه العمل بما جاء به، والتخلق بأخلاق القرآن. وكان ﷺ خير الناس عملا بالقرآن واتّباعًا له وتخلُّقًا بأخلاقه، لذا لمّا سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ؟ قالت للسائل: ألستَ تقرأُ القرآن؟ قال: بلى، قالت: «فإن خُلُق نبيّ الله ﷺ كان القرآن»(٣). قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق هذا الحديث: « ومعنى هذا أنه عليه السلام، صار امتثالُ القرآن، أمرًا ونهيًا، سجيَّةً له، وخُلقًا تَطَبَّعَهُ، وترك طبعه الجِبلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خُلُق جميل» (٤).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شرّه، ويرجى خيره، ويسلم من

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح ٨٠٥.
(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء، ح ٢٢٣. من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب جامع صلاة الليل ، ح ٧٤٦ مطولًا.
(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ١٨٨. تفسير سورة القلم.

ضرّه»[١]. «وأولى الناس بهذا القرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه»[٢].

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١١٣، وأحمد في الزهد ص٢٠٢، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص٧٥، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٩.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٦٣ عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

المبحث السادس

الآثار المترتبة على تدارس القرآن الكريم في حياة الفرد والمجتمع

تدارس القرآن الكريم له فوائد كثيرة، ويترتب عليه آثار وثمرات عديدة، على الفرد والمجتمع، وسأحاول أن أذكر بعضًا من الفوائد والآثار والثمرات المترتبة على تدارس القرآن الكريم، في حياة الفرد والمجتمع، فمنها:

- **تدارس القرآن**: هو التجارة الرابحة مع الله قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠] . ومعنى ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي يرجون بفعلهم هذا ثوابًا عند الله لابد من حصوله، وهذه الآية تسمّى: آية القراء [(١)]. وعنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ القُرآن يَلقَى صاحبهُ يوم القِيامةِ حينَ يَنشَقُّ عنهُ قَبرُه كالرَّجلِ الشَّاحبِ، فيقولُ لهُ: هَل تَعرِفُنِي؟ فيقولُ: ما أَعرفُكَ. فيقُولُ لهُ: أَنا صاحبكَ القُرآن الذي أَظمَأتُكَ في الهواجِرِ وَأَسهَرتُ ليلكَ، وإنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِن وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وإنَّكَ اليَومَ مِن ورَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فيُعطى المُلكَ بيمينهِ، والخُلدَ بشمالهِ**»[(٢)].

- **تدارس القرآن**: فيه استغلال للوقت والطاقات بما ينفع ويفيد، قال ﷺ: «**نعمتانِ مغبُونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصحةُ والفراغُ**»[(٣)] .

- **تدارس القرآن**: شفاء ورحمة، قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ

(١) أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن مطرِّف بن عبد الله أنه قال في هذه الآية: هذه آية القراء.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٨، وابن ماجه في سننه مختصرًا، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن ح٣٧٨١، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٤٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٦/ ٧٩٢ رقم ٢٨٢٩ من حديث أبي هريرة ﷺ وعزاه للطبراني في الأوسط ثم قال: "الحديث حسن أو صحيح؛ لأن له شاهدًا من حديث بريدة بن الحصيب مرفوعا بتمامه".

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، ح ٦٤١٢،من حديث ابن عباس ﷺ.

لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ [الإسراء : ٨٢].

– **تدارس القرآن:** سبيل لتحقيق الخيرية والفضيلة، التي أخبر بها النبي ﷺ بقوله: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(١). وقوله: «**إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(٢).

– **تدارس القرآن:** اجتماع على تلاوة كتاب الله، ومعين على التلاوة الصحيحة له، وسبيل لتصحيح الأخطاء في تلاوته وفهمه.

– **تدارس القرآن:** سبيل لزيادة الحسنات، وحصول الأجر والثواب، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**» (٣).

– **تدارس القرآن:** سبيل لنيل شفاعة القرآن يوم القيامة، قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...**»(٤).

– **تدارس القرآن:** سبب لنيل رحمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٠٤].

– **تدارس القرآن:** سبب للهداية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح ٥٠٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح ٥٠٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، ح ٢٩١٠. وقال :"هذا حديث حسن صحيح غريب "، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٤٨ ح ١٨٣١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وساقه أيضا في السلسلة الصحيحة ٢/ ٢٦٧ بالرفع وقال: "وإسناده جيد".

(٤) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، ح ٨٠٤، من حديث أبي أمامة الباهلي.

وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩-٣٠] ، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢] ، فالاستماع للقرآن، له أثرٌ واضح على جميع الخلق إنسهم وجنِّهم .

– **تدارس القرآن:** سبيل للتعلَّم وتحصيل للعلم، حيث يقف المتدارس للقرآن على علوم ومعارف جديدة، ولطائف قرآنية من الآخرين، ربما لم يقف عليها قبلُ، فيزداد علمًا وتعلّمًا.

– **تدارس القرآن:** يعين حافظ القرآن على المراجعة والاستذكار والاستيعاب والتدبر.

– **تدارس القرآن:** طريق لتزكية النفس بفضائل الخير، وتحليتها بقيم الصلاح، وهدايتها سبل الرشاد.

– **تدارس القرآن:** سبب لتنزّل السكينة، وغشيان الرحمة على المؤمنين، وسبب لحفِّ الملائكة لهم، حفظًا وعناية وتوفيقًا، وسبب لذكر الله لهم فيمن عنده. قال ﷺ: «**وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكينةُ، وغشيتُهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١). وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت : ٣٣] .

– **تدارس القرآن:** خروج من إثم هجر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان : ٣٠] ، وهجر القرآن يكون: بهجر تلاوته، أو هجر تدبره، أو هجر مدارسته وتعليمه، أو هجر العمل به .

– **تدارس القرآن:** من مظاهر الدعوة إلى الله تعالى، بل هو أشرف المظاهر. قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا شك أنَّ الجامع بين تعلَّم القرآن وتعليمه مكمّلٌ لنفسه ولغيره،

(١) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ٢٦٩٩.

جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، وهو مِن جملة مَنْ عنى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣] ، والدُّعاء إلى الله يقع بأمورٍ شتَّى من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع»(١).

– **تدارس القرآن:** فيه حفظ لكتاب الله، وقيام بواجب تبليغه للناس امتثالًا لقول النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»(٢).

– **تدارس القرآن:** فيه اتّباعٌ وإحياء لسنَّة النبي ﷺ الفعلية والقولية؛ فالفعلية تتمثل في مدارسته ﷺ القرآن مع جبريل عليه السلام، والقولية تتمثل بحثِّه ﷺ على تعلِّم القرآن، وترغيبه فيه، ومن ذلك قوله ﷺ لأصحابه: «**أفلا يَغدُو أَحَدكُم إلى المَسجِدِ فَيَعْلَم، أَو يَقرَأ آيَتَينِ مِن كتابِ اللَّه ﷻ، خَيرٌ لهُ مِن نَاقتينِ، وثلاثٌ خَيرٌ لهُ مِن ثَلاثٍ، وأَربعٌ خَيرٌ لهُ مِن أربعٍ، ومِن أَعدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ**»(٣).

– **تدارس القرآن:** منهج لوحدة الأمة واعتصامها، وسبيل لوحدتها، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

– **تدارس القرآن:** سبيل لربط المسلمين بمصدر عزتهم، وهدايتهم -القرآن الكريم- ، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٩] .

– **تدارس القرآن:** وسيلةٌ لتحقيق معنى الترابط والتآلف بين المسلمين بسبب اجتماعهم في مجلس واحد، وهو مقصد أساس حرص عليه الإسلام .

---

(١) فتح الباري ٩/ ٧٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عني بني إسرائيل، ح ٣٤٦١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، ح ٨٠٣.

– **تدارس القرآن:** لقاء بين خيرة عباد الله في أرضه، قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١)، ولقاء بين أهل الله وخاصته، قال ﷺ: « **إنَّ لله أهلين من النَّاس**»، قيل يا رسول الله مَن هم؟ قال: **هم أهل القرآن أهل الله وخاصته**»(٢).

– **تدارس القرآن:** تتجلى فيه صورة التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة : ٢] ، ولا أبرَّ ولا أتقى من تعلُّم كتاب الله ومدارسته .

فهذه بعض الفوائد والآثار المترتبة على تدارس القرآن، ولا شك أن تحقق واحدة منها، يعطي التدارس قيمة كبيرة ومنزلة عظيمة، تجعل الفرد والمجتمع يحرص عليه ويسعى إليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح ٥٠٢٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٢٧، وابن ماجة في سننه ، كتاب المقدمة ، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ح ٢١٥، والنسائي في الكبرى، كتاب فضائل القرآن ٥/ ١٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة .

المبحث السابع

من وسائل تفعيل تدارس القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والحجة الدائمة﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة : ٢] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] ، من تمسَّك به لم يضل أبدًا، قال ﷺ: «**تركتُ فيكم أَمرَينِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكتُم بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّتي**»(١).

والقرآن روحٌ يبعث الحياة ويحركها وينميها في القلوب، وكذا في الحياة العملية المشهودة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] ، فهو روح تحيا به القلوب، وفيه حياة من موت الجهل. فالأمة بغير القرآن أمة هامدة، لا حياة لها ولا وزن، وحينما ترجم النبي ﷺ القرآن ترجمة عملية، غيَّر التأريخ وأصبحت أمته سادة الأمم، ودان له القاصي والداني. ولئن كان هذا القرآن -بحروفه ومعانيه- اليوم هو القرآن الذي تربَّى عليه الجيل الأول، فإنّ سبب عدم التأثير والتغيير للقرآن فينا كما غيَّر فيهم هو: أنَّ الجيل الأول حين كان القرآن ينزل على النبي ﷺ فإنّ الكل يراه، والكل يعلمه ويشاهده، فحققوا القرآن بالعمل، وتمثَّلوا القرآن، وما توفي رسول الله ﷺ إلا وكل واحدٍ من أصحابه كأنه قرآنٌ يمشي على وجه الأرض، وأما الأمة اليوم فقد ابتعدت عن القرآن الكريم تلاوةً ومدارسةً

(١) أخرجه مالك في الموطأ عن مالك بن أنس مرسلًا، قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ١/٦٦ح ١٨٦: "له شاهد من حديث ابن عباس بسند حسن أخرجه الحاكم"، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٩٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح٢٩٣٤. وانظر السلسلة الصحيحة ح١٧٦١.

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ح ١٢١٨، عن جابر بن عبدالله مرفوعًا في خطبة الوداع بلفظ: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**».

وتدبرًا وتطبيقًا. فضعف الارتباط بالقرآن الكريم، الارتباط الحقيقي، وإن كان ضعف الارتباط بالقرآن تلاوةً وحفظًا أقلَّ من غيره؛ لوجود إقبال على تلاوته من قبل بعض المسلمين، وكذا وجود جهود مشكورة في ربط الأمة بكتاب ربها، في التلاوة والحفظ -كما تفعله جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، وكذا ما تبذله بعض الجهات والمؤسسات من إجراء المسابقات القرآنية لحفظ كتاب الله، فهذا الجهود المشكورة لا تكفي للعودة بالأمة إلى كتاب ربها، ومصدر عزتها حيث إنها -في الحقيقة- هي مرحلة من مراحل ربط الأمة بالقرآن، وبقي مراحل أهم، وهي فهم معانيه وتدبره والعمل بما جاء فيه.

وهذه المرحلة المهمة يمكن أن تتحقق عن طريق تدارس القرآن الكريم، لذا أصبح لزامًا تفعيل تدارس القرآن الكريم؛ لتعود الأمة إلى مصدر عزها وكتاب ربها.

ومن الوسائل التي تعين على تفعيل تدارس القرآن:

١. استشعار أهمية تدارس القرآن وآثاره في حياة الفرد والمجتمع، وما يترتب عليه من الفضائل والأجور.

٢. قيام أئمة المساجد بالدور المناط بهم في خدمة بيوت الله، ومن ذلك إحياء تدارس القرآن في بيوت الله، والإشراف عليها ومتابعتها.

٣. قيام أهل العلم في دروسهم وخطبهم وكلماتهم ومؤلفاتهم ، بحثِّ الناس على أهمية تدارس القرآن وبيان فضله.

٤. قيام الموسرين ممن أنعم الله عليهم بإنشاء مجالس لتدارس القرآن، ودعمها ومتابعتها.

٥. قيام الجهات المعنية على حلقات تحفيظ القرآن الكريم، والدور النسائية بتخصيص جزء من وقت الحفظ لمدارسة القرآن وتفهم معانيه.

٦. إحياء وتفعيل تدارس القرآن في البيوت، وبين الأهل والأصحاب، وجمعهم في وقت محدد ولو أسبوعيًّا لتدارس القرآن .

٧. أن تتولى الجامعات ومؤسسات التعليم، تفعيل التدارس في مؤسساتها، ونشر ثقافة تدارس القرآن وحث منسوبيها عليه.

٨. تحفيز وتشجيع الآخرين على تدارس القرآن، فإن التدارس مظهر من مظاهر الدعوة إلى الله تعالى، بل هو أشرف المظاهر.

الخاتمـة

وبعد هذا التطواف في تدارس القرآن الكريم، وبيان مفهومه، وتحديد ضوابطه، يمكنني في خاتمة هذا البحث أن أسطر أهم نتائجه، وهي:

١- تم تحديد مفهوم تدارس القرآن الكريم، وهو : «قيام أكثر من واحد بتلاوة آي من كتاب الله -حفظا أو قراءة- وتفهم تلك الآيات المتلوة، وفهم معانيها للعمل بما جاء فيها».

٢- أوضحت عددًا من الفروق بين التدارس والتدبر والتفسير.

٣- أوضحت مشروعية تدارس القرآن الكريم، وأنه من أفضل القربات وأزكى الأعمال.

٤- حددت ثلاثة أنواع من أنواع تدارس القرآن الكريم .

٥- وضعت عددًا من الضوابط لتدارس القرآن الكريم بلغت (١٨) ضابطًا.

٦- بينت عددًا من الآثار المترتبة على تدارس القرآن الكريم، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع .

٧- بينت عددًا من الوسائل التي تسهم في تفعيل تدارس القرآن الكريم .

٨- أوضحت مدى الحاجة الماسة إلى تفعيل تدارس القرآن الكريم، ونشر ثقافة التدارس بين المجتمع.

وبعد أن ذكرت أهم نتائج البحث فإني آمل أن أكون قد وفقت فيما قلت وعرضت، كما آمل أن يلاقي البحث قارئًا كريمًا، يقبل صوابه، ويصوّب خطأه، ويعفو عن زلله .

وأرى أن موضوع تدارس القرآن ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث.

وأوصي بالتأكيد على ضرورة الاهتمام بالتدارس وتفعيله؛ لما له من آثار عظيمة، وهو سبيل لعودة الأمة إلى كتاب ربها، والنهل من معينه، وسبيل إلى تطبيق القرآن تطبيقًا عمليًّا، وجعله منهجًا للحياة.

والله أسأل أن يجعل ما كتبت خالصًا لوجهه الكريم، وأن يوفقني لهداه، ويجعل عملي في رضاه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* تم بحمد الله *

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،ط٣، ١٤٠٥.

٢. **الآحاد والمثاني**، لابن أبي عاصم، تحقيق د. باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض١٤١١.

٣. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان = صحيح ابن حبان** .

٤. **أخلاق حملة القرآن**، لأبي بكر الآجري، تحقيق غانم قدوري، دار عمار، عمان،١٤٢٩.

٥. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للألباني، المكتب الإسلامي،١٤٠٥.

٦. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، للشنقيطي ،عالم الكتب ، بيروت.

٧. **البحر المحيط**، لأبي حيان ، دار إحياء التراث العربي .

٨. **بدائع الفوائد**، لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان.

٩. **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة،١٣٩١.

١٠. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للفيروزآبادي، تحقيق النجار، دار الكتب العلمية.

١١. **التبيان**، للنووي، تحقيق محمد عرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٥.

١٢. **التحرير والتنوير**، للطاهر ابن عاشور، مكتبة ابن تيمية، مصورة عن الدار التونسية.

١٣. **التسهيل لعلوم التنزيل** ، لابن جزي الكلبي، دار الفكر، بيروت .

١٤. **تفسير القرآن العظيم**، لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة الباز، مكة المكرمة.

١٥. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة،١٤٢٢.

١٦. **تفسير الطبري = جامع البيان** .

١٧. **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**

١٨. **التفسير والمفسرون**، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٩٦.

١٩. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، لابن حجر، تصحيح وتعليق عبد الله هاشم يماني.

٢٠. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، للسعدي، نشر دار البحوث العلمية .

٢١. **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني، عنى بتصحيحه اوتويرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت .

٢٢. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق د.التركي، دار هجر، ١٤١٢.
٢٣. **جامع العلوم والحكم**، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
٢٤. **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، صححه أحمد البرودني، دار الكتب المصرية،١٣٧٢.
٢٥. **جمال القراء**، لعلم الدين السخاوي، تحقيق علي البواب، مكتبة التراث، ١٤٠٨.
٢٦. **جمال القراء**، فصول في آداب أهل القرآن الكريم، للدكتور الحميضي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٤.
٢٧. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي،١٤٠٠.
٢٨. **الزهد**، لعبد الله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية.
٢٩. **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، دار الريان، ١٤٠٨.
٣٠. **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، للألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٣١. **سلسلة الأحاديث الضعيفة** ـ للألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٣٢. **سنن ابن ماجه**، ترقيم عبد الباقي، اعتنى بها بيت الأفكار الدولية، طبعها الراجحي.
٣٣. **سنن أبي داود**، ترقيم الدعاس، اعتنى بها بيت الأفكار الدولية ، طبعها الراجحي.
٣٤. **سنن الترمذي** ، ترقيم أحمد شاكر اعتنى بها بيت الأفكار الدولية ، طبعها الراجحي.
٣٥. **سير أعلام النبلاء**، للذهبي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٦.
٣٦. **شعب الإيمان**، للبيهقي، تحقيق محمد بسيوني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠.
٣٧. **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**، للقاضي عياض، خرجه كمال بسيوني زغلول، دار الفكر، بيروت.
٣٨. **صحيح ابن حبان**، ترتيب: ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧.
٣٩. **صحيح البخاري**، ترقيم عبد الباقي، طبعة اعتنى بها بيت الأفكار الدولية طبعها الراجحي.
٤٠. **صحيح سنن ابن ماجه** ، للألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٤١. **صحيح سنن أبي داود** ، للألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٤٢. **صحيح سنن الترمذي** ، للألباني، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٤٣. **صحيح مسلم** ،ترقيم د. عبد الباقي، اعتنى بها بيت الأفكار الدولية طبعها الراجحي.
٤٤. **عظمة القرآن الكريم** ، محمود الدوسري، دار ابن الجوزي ، ط١، ١٤٢٦.

٤٥. **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب الدرويش، طبع ونشر مؤسسة العنود.

٤٦. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، بيروت.

٤٧. **فضائل القرآن الكريم**، لأبي جعفر الفريابي، تحقيق يوسف جبريل، مكتبة الرشد، الرياض ، ١٤٢٦.

٤٨. **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، لأبي عبيد، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦.

٤٩. **الفوائد**، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٤، ١٤٠٧ .

٥٠. **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**، د. محمد عمر بازمول ، دار الهجرة، ١٤١٧ .

٥١. **قواعد التدبر وضوابطه**، لحسين بن علي الحربي، بحث مقدم لملتقى التدبر الأول، الرياض.

٥٢. **الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار**، لأحمد بن إدريس، تحقيق الجهني، مكتبة الرشد.

٥٣. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأبي إسحاق الثعلبي، رسائل علمية، دار التفسير، ط١، ١٤٣٦.

٥٤. **لسان العرب**، لابن منظور، دار الفكر، ط، ٣، ١٤١٤هـ.

٥٥. **لطائف المعارف فيما للمواسم من وظائف**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق السواس، دار ابن كثير١٤٢٠.

٥٦. **المبسوط في القراءات العشر**، لابن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حاكمي، دار القبلة، ١٤٠٨.

٥٧. **المتحف في أحكام المصحف**، د. صالح الرشيد، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣٣.

٥٨. **مجالس القرآن**، مدارسات في الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ ، فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر ، ط٢، ١٤٣١.

٥٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للهيثمي، مؤسسة المعارف ، بيروت ١٤٠٦هـ.

٦٠. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** ، جمع وترتيب ابن قاسم ، مطابع الرياض.

٦١. **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** ، **لابن** باز ، جمع محمد الشويعر ، ط ٢، ١٤٢١.

٦٢. **مجموعة الرسائل الكبرى** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة المصرية.
٦٣. **مختصر منهاج القاصدين**، لابن قدامة المقدسي، تحقيق الشاويش، المكتب الإسلامي.
٦٤. **مدارج السالكين** ، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٥. **المستدرك على الصحيحين في الحديث**، للحاكم ، دار الفكر، بيروت.
٦٦. **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الميمنية.
٦٧. **المصنف** ، لعبد الرزاق الصمعاني تحقيق الأعظمي ، المكتب الإسلامي، بيروت .
٦٨. **المصنف في الأحاديث والآثار**، لابن أبي شيبة، تحقيق الأعظمي ، الدار السلفية .
٦٩. **معالم التنزيل**، للبغوي ، تحقيق النمر وآخرون ، دار طيبة، الرياض ط، ١٤٠٩.
٧٠. **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج، تحقيق عبدالجليل شلبي، عالم الكتب ط١، ١٤٠٨.
٧١. **المعجم الوسيط**، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢، دار المعارف.
٧٢. **معجم مقاييس اللغة العربية** ، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل .
٧٣. **مفتاح دار السعادة**، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣.
٧٤. **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم.
٧٥. **مفهوم التدبر تحرير وتأصيل**، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، مركز تدبر، ١٤٣٠.
٧٦. **مقدمة جامع التفاسير**، للراغب الأصفهاني، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت، ١٤٠٥.
٧٧. **مقدمة في أصول التفسير**، لابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، دار الرسالة ، ١٤١٥.
٧٨. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للزرقاني، دار إحياء الكتب العربية .
٧٩. **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، أشرف على تصحيحه علي الضباع، دار الكتاب العربي.
٨٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق الطناحي، دار الفكر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٣
المقدمة	١٤
أسباب اختيار الموضوع	١٥
خطة البحث	١٥
منهج كتابة البحث	١٦
المبحث الأول : مفهوم تدارس القرآن الكريم	١٧
المطلب الأول : معنى التدارس في اللغة	١٧
المطلب الثاني : معنى التدارس في الاصطلاح	١٨
المطلب الثالث : معنى تدارس القرآن الكريم	١٩
المبحث الثاني : الفرق بين التدارس والتدبر والتفسير	٢٢
المبحث الثالث : حكم تدارس القرآن الكريم	٢٧
المبحث الرابع : أنواع تدارس القرآن الكريم	٣٢
المبحث الخامس : ضوابط تدارس القرآن الكريم	٣٤
المبحث السادس : الآثار المترتبة على تدارس القرآن الكريم	٦٦
المبحث السابع : من وسائل تفعيل تدارس القرآن الكريم	٧١
الخاتمة وأهم نتائج البحث	٧٤
فهرس المصادر والمراجع	٧٦
فهرس الموضوعات	٨٠